نجيب محفوظ

حول التحرر والتقدم

الناشر
الدار المصرية اللبنانية

حول التحرر والتقدم

الناشر : الدار المصرية اللبنانية
١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة
تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣
فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو
ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة
رقم الإيداع : ٨٩٥٦/ ٩٦
الترقيم الدولى : 1 - 285 - 270 - 977
جمع وطبع : عربية للطباعة والنشر
العنوان : ٧ ـ ١٠ شارع السلام ـ أرض اللواء ـ المهندسين
تليفون : ٣٠٣١٠٤٣ ـ ٣٠٣٦٠٩٨

الطبعة الأولى : جمادى الأول ١٤١٧ هـ ـ أكتوبر ١٩٩٦ م

نجيب محفوظ من الجائزة إلى الطعنة

نجيب محفوظ بعد جائزة نوبل ، هو نفسه نجيب محفوظ قبل جائزة نوبل .. الشخصية ، الحياة اليومية، المسكن والملبس ، المأكولات والمشروبات ، نوع السجائر ، النظارات والساعات ، الأوراق والأقلام ، الأطباء والأدوية ، الزملاء والأصدقاء ، المقاهى والكازينوهات ، السير فى الصباح والمساء ، القاهرة والإسكندرية . .

صحيح أن أشياء اختفت أو تراجعت ، وأشياء أخرى ظهرت أو أضيفت فى حياة نجيب محفوظ . . ولكن هل هى طارئة أو عابرة نتيجة لجائزة نوبل ؟ وإلى متى ؟ .

لقد اختفت أو كادت عادة القراءة اليومية ، فيما عدا الصحف والمجلات ، كما اختفت أو كادت عادة الكتابة اليومية ، فيما عدا « وجهة نظر » الأسبوعية التى تنشر صباح كل خميس بجريدة الأهرام . .

وظهرت بكثافة أضواء وكاميرات السينما

والتليفزيون ، ومسجلات الإذاعة والصحافة ووكالات الأنباء ، كما زادت اللقاءات والمقابلات والأحاديث والتصريحات ، وأضيفت مسئولية الرد على الرسائل والبرقيات والتلكسات ، سواء كانت تهانئ أو عقودًا أو دعوات ، وكذلك التوقيع على صورته الفوتوغرافية ، أو صور الراغبين الشخصية ، أو البطاقات المرسلة .

وكثيرًا ما حدث ويحدث وضع عُملة ورقية من فئة الدولار أو الإسترلينى فى المظروفات مصحوبة بطلب التوقيع كمصروفات بريد ، فيوقع عليها نجيب محفوظ ويعيدها إلى طالب التوقيع .

ولهذا يقول نجيب محفوظ : « لقد أصبحت موظفاً عند نوبل » أو جائزة نوبل ، أومؤسسة نوبل .

ولم تكن كل التوقعات تنتظر كل هذا الكم الهائل من الاهتمام العالمى على مدى هذه الفترة الزمنية الطويلة ، منذ إعلان فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل فى الثالث عشر من أكتوبر سنة ١٩٨٨ .

إن ما حدث قد فاق كل التوقعات التى لم تعد تقدر على تحديد وقت انتهاء أو انخفاض هذه الموجة الجارفة من الاهتمام ، هل هو قبل أو مع إعلان اسم الفائز الجديد ؟! . . أم ترى يستمر هذا الاهتمام حتى

بعد إعلان اسم الفائز الجديد ؟! وبالتالى هل تختفى العادات الطارئة ؟! أم أنها أصبحت جزءًا لا يتجزأ من عادات نجيب محفوظ الأصيلة ؟! وهل يعود نجيب محفوظ إلى القراءة والكتابة بالقدر نفسه كما كان ذلك قبل حصوله على جائزة نوبل ؟!

أسئلة لايمكن الإجابة عنها .

أما أسرة نجيب محفوظ الصغيرة : زوجته وابنتاه ، فيمكن التأكيد على أنها « أسرة ضد الأضواء »، وعلى أن واحدة منهن لم تتغير شخصيتها وعاداتها ، برغم تدفق الموجات الرسمية والإعلامية الأولى على البيت الصغير المطل على النيل ، ربما بفضل مبادرة « الأهرام» بنقل مركز الثقل إلى « قاعة توفيق الحكيم » التى تحمل رقم ٦٠٦ ببرج الأهرام ـ الدور السادس ، والتى لم تفتح بعد رحيل الحكيم إلا لنجيب محفوظ ، الذى أصر منذ اللحظة الأولى على الجلوس على الكنبة الطويلة فى مواجهة مكتب الحكيم .

أما الاهتمام الذى فاق كل التوقعات فيرجع إلى أن نجيب محفوظ هو أول أديب يكتب باللغة العربية ويفوز بجائزة نوبل العالمية بعد ٨٨ عاماً من بداية منح الجائزة سنوياً، فقد بدأت عام ١٩٠١ ، فيما عدا

السنوات التى لم تمنح فيها الجائزة نتيجة لاندلاع الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وبعد ٨٤ أديباً فازوا بها كاملة أو مناصفة . . هذا فضلاً عن أنه أول أديب عربى يفوز بهذه الجائزة بعد فوز الإفريقى سونيكا ، فقد حظيت القارات الأخرى بنصيب الأسد من جوائز نوبل المختلفة .

كذلك فإن عربياً واحدًا لم يفز قبل نجيب محفوظ بأىٍّ من جوائز نوبل العالمية الأدبية والعلمية ، فيما عدا نصف جائزة السلام التى فاز بها الرئيس أنور السادات .

وأخيرًا فإن نجيب محفوظ قد فاز وحده بجائزة ١٩٨٨ برغم الأسماء اللامعة التى كانت مرشحة معه ، و المنافسة التى اشتدت فى التصفية النهائية .

ولا بد من ذكر سبب جوهرى يتمثل فى أن نجيب محفوظ لايختلف حوله اثنان فى الداخل والخارج من ناحية ، وأنه الأجدر من ناحية أخرى ، خاصة فى عدم وجود العقاد وطه حسين من ناحية ، وتوفيق الحكيم من ناحية أخرى ، وإلا أصبح الوضع غاية فى الحرج لمؤسسة نوبل ، ولنجيب محفوظ نفسه ، وللجميع أيضاً .

ولابد من ذكر سبب آخر هو الذى شجع على هذا الاهتمام الشديد ، ويتمثل فى شخصية نجيب محفوظ ذاتها ، فمنذ إعلان نبأ الفوز و هو يرحب بكل أجهزة الإعلام ، فلم يختف عن الأنظار ، ولم يردّ أحدًا، ولم يملّ الأحاديث ، بل استجاب لتنظيم العملية الإعلامية ، وحرص على الالتزام بهذا التنظيم وتقديره ، فيما عدا الذهاب بنفسه إلى «ستوكهولم» لتسلم الجائزة ، وتلبية الدعوات خارج مصر . .

نجيب محفوظ قبل فوزه بجائزة نوبل كان يحظى على مستوى الوطن العربى بالتقدير الذى يستحقه ، وكانت أعماله تنشر خارج مصر فى أكثر من بلد عربى، فى حين أنه على مستوى العالم لم يكن اسم نجيب محفوظ معروفاً إلا فى الأوساط الثقافية ، نتيجة لترجمة بعض أعماله إلى عدد من اللغات ، وأهمها : الفرنسية ، والإنجليزية ، والإيطالية ، والأسبانية ، والألمانية ، والروسية ، والصينية ، والسويدية .

وبعد فوزه بجائزة نوبل أصبح نجيب محفوظ يحظى على مستوى العالم بمزيد من التقدير ، وارتفعت نسبة توزيع كتبه وكمية المطبوع منها ، سواء باللغة العربية أو بمعظم لغات العالم ، ولم تعد تُطبع وتُنشر فى مصر وحدها ، بل فى لبنان ، والعراق وسوريا والأردن ،

والجزائر وتونس ، والمغرب ، وفى مناطق كثيرة من العالم ، مضافة إلى الدول التى ذكرناها من قبل .

وكما عرفت أعمال نجيب محفوظ طريقها إلى المسرح والسينما والإذاعة والتليفزيون فى الوطن العربى قبل فوزه بجائزة نوبل ، بدأت تزحف بعد فوزه بجائزة نوبل إلى إذاعات وتليفزيونات العالم ، بل وتم الاتفاق بالفعل على إنتاج بعض أعماله فى السينما العالمية ، وتقديم بعضها على مسارح العواصم الهامة .

وبعد فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل ، بدأت دور النشر العربية فى تقديم بعض أعماله بشكل مبسط مزود بالصور والرسومات للشباب والأطفال .

ولكن حتى هذه اللحظة لم تكن دور النشر العربية والعالمية قد فكرت فى نشر مقالاته الطويلة أو القصيرة .

ووقعت الواقعة . .

صحيح أن جائزة نوبل العالمية فى الآداب لم تكن وساماً على صدر الكاتب المصرى الكبير نجيب محفوظ فحسب ، ولكنها كانت وسامًا على صدر مصر والوطن العربى كله . . وصحيح أيضاً أن طعنة السكين الغادرة قد انغرست فى عُنق الكاتب الكبير كما

انغرست فى عُنق كل مواطن صالح على أرض الكنانة ، وكل إنسان شريف فى العالم أجمع . وإنْ كانت الجائزة قد حققت كل أهدافها فى رفع راية العروبة واسم مصر، فإن الطعنة لم تحقق أى هدف ،فقد نَجَّى الله الرجل وأنعم عليه بالشفاء، وأكرمه بمواصلة العطاء ، وطمأن قلوب أهله وأصدقائه ومحبيه ومواطنيه والمدافعين عن حق الحياة وحق الرأى ، المناضلين ضد التطرف والإرهاب .

لقد تحولت الطعنة الغادرة إلى جائزة أكبر ، ووسام أرفع ، وصفحة ناصعة ، ليس فى تاريخ الرجل وحده، بل فى تاريخ الأمة أيضًا ، بعد أن حاولت الأيدى القذرة تحويل التكريم المشرف إلى تجريم آثم ، وقلب الإشادة الكريمة إلى إدانة دنسة ، وتغيير الأمان الهادئ إلى غدر هادر ، واستبدال الحرية المطلقة بالحركة المقيدة ، ولكن إرادة الله كانت أقوى ، وسيف العدل كان أمْضَى ، وشجاعة الرجل كانت أصلب ، وحب الناس كان أرحم ، هذا الحب الذى كسر السكين وقبض على اليد المخضبة بالدماء ، وتضرع إلى الله العلى القدير أن يلطف بشيخوخة الرجل الطيب وبجسده النحيل ، حتى تظل يده ممدودة لمصافحة الجميع ، وهامته مرفوعة فى ظل الجميع .

وهذه المجموعة من الكتب هى باكورة منشورات الدار المصرية اللبنانية الخاصة بإنتاج نجيب محفوظ من المقالات ، بعد أن اقتنع صاحب الدار الأستاذ محمد رشاد بالفكرة ، وأقبل على تنفيذ المشروع بترحيب من نجيب محفوظ . . وهى مقالات كتبها نجيب محفوظ قبل حصوله على جائزة نوبل ـ من عام ١٩٧٤ حتى عام ١٩٨٧ ـ على أمل نشر مقالاته السابقة على تلك الحقبة، ومنذ الأربعينيات وحتى الآن !

هكذا فكرت ونقبت واخترت وأعددت هذه المقالات فى ثلاثة كتب أولاً ، هى : « الدين والديمقراطية » ، و « الشباب والحرية » ، و « الثقافة والتعليم » ، لتكون البداية ، بعد أن أضاف نجيب محفوظ إلى كل منها كلمة « حول » ، تعبيراً عن تواضعه المعهود .

وهكذا تحققت تلك الفكرة ، وظهرت تلك المقالات إلى النور . .

وهذه المجموعة الجديدة من الكتب التى تضم وجهة نظر كاتبنا الكبير نجيب محفوظ تبدأ قبيل حصوله على جائزة نوبل فى أكتوبر عام ١٩٨٨ ، وتنتهى مع الطعنة الغادرة فى أكتوبر ١٩٩٤

. . وتتكون من خمسة كتب ، هى : « حول التدين والتطرف » ، و « حول العدل والعدالة »، و « حول التحرر والتقدم »، و « حول العلم والعمل » ، و«حول العرب والعروبة » . .

إنها بحق حوليات نجيب محفوظ التى نرجو ونأمل أن تستمر فى الصدور حتى تستوعب كل ماكتبه الكاتب الكبير من وجهات نظر وآراء مختلفة ، بعد أن ظلت كتبه مقصورة على إنتاجه الروائى والقصصى والمسرحى، دون مقالاته ذات المستوى الرفيع الذى لا يقل بأى حال عن مستوى أعماله الإبداعية الشهيرة . . عندئذ يحق لنا أن نتوجه بالشكر والتقدير لناشرنا المثقف محمد رشاد الذى تحمس لهذا المشروع القومى الكبير ، كما توجهنا إليه بالشكر والتقدير عند بداية تنفيذ هذا المشروع .

والثقة كل الثقة ، فى أن تحظى هذه الكتب بالتقدير والانتشار اللذين تحظى بهما أعمال نجيب محفوظ الروائية والقصصية والمسرحية . . والثقة كل الثقة ، فى أن تترجم هى أيضاً إلى معظم لغات العالم ، بل كل لغات العالم . . والله هو الموفق دائماً !

فتحى العشرى

ذكرى ثورة ١٩١٩

ذكرى سعد زغلول ومصطفى النحاس ، ذكرى الجهاد والفداء والشجاعة ، ذكرى الوطنية المصرية المتحدة المتحدية ، ذكرى أيام أحمى من السعير ، وأجمل من الأساطير ، وأعذب من الأحلام والأغانى ، ذكرى ثورة ١٩١٩ ، ثورة الشعب المنتظم فى جيش ضاربٍ يضم الفلاحين والعمال والمثقفين والنساء ، المرأة خرجت من ميدان جهادها الأصغر فى البيت إلى ميدان الجهاد الأكبر فى ساحة المعارك ، يجب أن نتذكرها مقرونة بالنجاح والفلاح ، أجل قد خاضت شدائد ـ شِدَّة بعد شدة ـ ولكن لم تعطل مسيرتها نكسة ، وهدفها الأول ـ وهو الاستقلال ـ تحقق على دركات متصاعدة ، من ١٩٢٢ ، إلى ١٩٣٦ ، إلى ١٩٥٤ ، ولكن ذلك يناسب صراعاً قام بين أُمَّة صغيرة عزلاء وبين أكبر إمبراطورية عرفها تاريخ الاستعمار .

إنها لم تكن ثورة ذات هدف واحد ، فكم من أهداف تولدت عن ذاك الهدف . . . مثل إيجابية الشعب وتضامنه وإصراره ، تلك الإيجابية التى دفعته إلى إشعال ثورة بلا تدبير ولا تآمر ولا تحريض ، ونفخت فيه روح الإبداع فأنشأ اقتصاده الوطنى ، وفنه الرفيع فى الأدب ، والتشكيل ، والموسيقى ، وحرر نصفه اللطيف من عبودية الجمود ليطلقه فى سماوات العلم والعمل ، ومثل إصرار الشعب على ممارسة حقوقه

وواجباته السياسية ، وتمزيق قيود الوصاية الملكية ، ودفاعه الدامى عن دستوره ضد الطغاة والمستبدين ، ومثل وحدته الوطنية المقدسة التى استوت أساساً لوطنيته ، وجهاده وإخوته ، مُطلقة صيحتها المدوية : الدين لله والوطن للجميع .

الإيجابية والديمقراطية والوحدة الوطنية هى مضمون ثورة ١٩١٩ ، كالاستقلال التام سواء بسواء ، هى تراثها الخالد ، ووصيتها الباهرة المسجلة بصوتى سعد ومصطفى فى القلوب والضمائر ، وبفضلها تصبح ثورة باقية متجددة .

تحية لجلال الزعماء ، وفداء الشهداء ، وذكريات الأيام المجيدة الطيبة .

(٢١ أغسطس ١٩٨٦)

ثـورة ٢٣ يـوليـو

الثورة أعظم تجربة إنسانية يُمْتَحَنُ بها شعب يريد الحياة ، إنها امتحان لروحه وعقله وإرادته ، وقدراته على الخَلْق والإبداع وتحدى الصعاب ، والتعامل الحكيم مع النصر والهزيمة ، والأمل واليأس . . وعلى الشعب الذى يريد الحياة ألاَّ يهدر تجربة ضخمة لا يُستهان بها فى مجرى الزمن ، أو يتركها تتلاشى فى غمار الأخطاء والعقبات .

إنها لم توجد عبثًا ، فالعبث لا يخلق ثورات ، ولا نتيجة مؤامرة داخلية أو خارجية ، فالمؤامرة قد تستغل ما يتهيأ لها من فرص وظروف ، ولكنها لاتخلق الأسباب الحقيقية التى تجعل من الثورة ثمرة محتومة ، كذلك فالثورة لاترفع الشعارات من منطلق اللهو أو التضليل ، ولكنها وإنْ تضاربت نوايا بعض رجالها تقيس شعاراتها تلقائيًا من هواتف الأنفس ونبضات القلوب .

وقد ترتكب أخطاء فادحة ، أو تضل سبيلها أحياناً فتتراكم سلبياتها، بل حتى إيجابياتها قد تتردى بسوء التصرف فى العجز والخسران، ولكن شيئاً من ذلك لايدعو ـ ولا يمكن أن يدعو ـ إلى تصفيتها ، ولا يجوز أن تمتد الرغبة فى عقابها إلى عقاب الشعب وتعتيم مستقبله ، وإنما يجب أن يحفزنا إلى معالجة السلبيات واستيعاب الدروس

وتصحيح المسار ، واستنقاذ المكاسب من براثن سوء الحظ والتقدير ، ثم دفع العجلة بكل قوة لخلق مجتمع معاصر عادل يقوم على التضامن والوحدة الوطنية والحرية والعلم والإيمان ، فى كنف المظلة الوارفة لاحترام حقوق الإنسان .

فليعترف كل مصرى بتلك الثورة كوثبة تاريخية ستظل رمزًا يشير إلى تطلعه إلى التحرر من الاستعمار والقهر والظلم ، والرغبة الأصيلة فى معايشة العصر فى أنواره ومعجزاته .

ولنؤيد من قلوبنا من يندبهم التاريخ لتصفية الأخطاء ، وبعث الإيجابيات ، وتجديد الهمم ، ورد الاعتبار والحقوق لشعب مصر الخالد .

(٢٣ يوليو ١٩٨٧)

عَوْدٌ إلى ذكرى ثورة ١٩١٩

ذكرى وفاة سعد زغلول ومصطفى النحاس ، ذكرى متجددة حية للاستقلال والحرية والوحدة الوطنية والديمقراطية ونزاهة الحكم ، والرجلان الكبيران يمثلان مدرسة عريقة فى تاريخنا العريق ، فى تلك المدرسة تربينا وتخرجنا بعد أن تلقينا مبادىء تثرى القلب وتنير العقل ، ولعلها مناسبة تدعو للتنويه بذلك التراث الذى نحبه ونعتز به ، ونرجو أن يكون بعض مكونات كل مواطن صالح . كانت تلك المدرسة تعلم بالقول البليغ والفعل الشجاع النبيل ، والقدوة الصالحة فى رحابها أشربت قلوبنا بحب مصر ، فكان محور الحياة وهدفها ، ينتمى إليه أى جديد من المبادىء باعتباره الأصل والمنبع ، ولا يتهاون هو فى ذاته لأى جديد ، فَفُتِنَّا مع الزمن بنزعات إنسانية ، وأخرى اشتراكية ، ولكن ظلت الوطنية المصرية هى المنطلق والكمال .

ومِنْ ذلك الحب نبع حب قريب اسمه الوحدة الوطنية ، امتدت جذوره ، ورسخت قوائمه ، وترنميث الحناجر بأغنيته العذبة ، الدين لله والوطن للجميع ، فصمد معنا وبنا حيال الفتن والمحن ، فاحتواها وسما بها ، وسما عليها ، وارتوت أنفسنا بالإيمان بالشعب مصدر كل سلطة ، وصاحب كل دولة ، وعماد كل نهضة ، وتكرسنا خصوماً لكل استبداد

رجيم ، وآمنا بالجهاد والصبر وتحمل المكاره ، وإن تعذرت الثمرة أو بعد منالها أو اقتضت المشيئة أن تكون من نصيب غيرنا . وآمنا أيضاً بالطهارة والنزاهة ، وأعرضنا عن مغريات الحياة ، ولكن عشقنا الحق والخير والجمال ، وامتد أثر مدرستنا معنا حتى أُهِّلْنَا للترحيب بثورة يوليو والاندماج فى ثوريتها ، كما أُهلنا فى الوقت نفسه للاحتجاج الدائم على أسلوبها الملكى فى الحكم .

يا سعد ، كم هتفت باسمك بصوتى «المسرسع» وأنا صبى ، ويامصطفى ، كم هتفت باسمك بصوتى الجهير وأنا شاب ، واليوم فى شيخوختى مازالت ذِكْرَاكُما تمدنى بالنور إذا احتاج النهار إلى دليل .

(٣٠ أغسطس ١٩٨٧)

عَوْدٌ إلى ثورة ٢٣ يوليو

وجدتنى أعود إلى ذكريات الأيام التى واكبت مولد ثورة يوليو ونموها الباهر ، أيام تحفل بساعات من العمر لم أشهد لها مثيلاً فى حلاوتها وبهجتها وأفراحها ، وثرائها العجيب بأجمل الآمال وأعذب الأمانى . كانت حياتنا تنتهى إلى سد غليظ تتراكم خلفه الفوضى والفساد والطغيان والعبث بالقيم والقوانين ، فانهار السد بضربة صادقة ، وتطاير المفسدون فى الجو مثل ذرات الغبار ، وتلاشى الطغاة والمستبدون كما تتلاشى الخرافة فى ضوء العلم ، وتزعزعت أركان الطبقية والامتيازات الداخلية ، فأشرقت فى الأفق شمس العدالة .

وتتابعت الانتصارات كالأحلام الوردية ، فقامت الجمهورية فوق أنقاض الملكية ، وهَلَّ الإصلاح الزراعى مبشرًا بعودة الأرض إلى أصحابها، وتم الجلاء ، وتحرر الوطن ، وبشر المبشرون بدستور يليق بأم الأمم ، ووثب أبناء مصر إلى كراسى الحُكم فيها ، وانعقدت العزائم على خلق نهضة شاملة تعتمد على غزارة الإنتاج وعدالة التوزيع ، وتستهدف الشعب الصغير المعذب المحروم ، يومها قلت وأنا من السعادة فى غاية : هاهى ذى مصر تهتدى إلى طريقها ، وتستنفر هِمَمَ أبنائها ، وترسم خطط التقدم بلا عائق ، فلا عرش معاند ، ولا احتلال مسيطر ،

فاللهم مُدَّ فى عمرى حتى تنضج الثمرة فأرى وطنى العزيز قويًّا مستقرًّا ، يضيئه العلم وتنوره الثقافة ، لا مرض فيه ولا فقر ، ولا جوع ولا هم ، ولا فساد ولا نفاق ، ولا ظلم ولا قهر ، أمة الحرية وأسرة الحب ، تعتز بتراث مجيد ، وتتطلع إلى مستقبل باهر ، وتهنأ بمكانة مرموقة بين الأمم .

يومها كنت قد جاوزت الأربعين ، ولكن فورة الحماس ردتنى إلى زهرة العمر ، فرحت أردد الهتاف وأنشد الأناشيد .

(٣١ يوليو ١٩٨٨)

ذكرى الرحيل

٢٣ أغسطس ذكرى الرحيل الملىء بالدموع والشجن ، وجيل الزعيمين الجليلين سعد زغلول ومصطفى النحاس هما رمز الثورة الشعبية الكبرى فى تاريخنا . علينا أن نذكر ثورتنا وزعيميها ، خاصة هذه الأيام التى نكافح فيها السلبية والصمت ، ونستنفر الهمم والعزائم ، ليذكر الشعب أنه كان ذات يوم قوة ضاربة ، وإرادة صلبة ، وعزيمة متوثبة ، ومواهب خلاقة مبدعة .

استيقظ الشعب حين اليقظة غضباً لكرامته ، وتحدى الإنجليز والملك بشجاعته ، وكرس وحدته الوطنية بإيمانه ، ومزق الحماية المفروضة عليه بدمائه ، وخلق نواة اقتصاده بحكمته ، وأبدع فنونه بروحه ، واستنقذ نصفه الآخر ـ المرأة ـ من وهدة الخنوع ، دافعًا بها إلى ميدان العلم والعمل بتحرره ، ثم نور ساحته بالجامعة ، وجَمَّلَ أركانه بالمسارح والتماثيل والفكر والأغانى .

كان عصر الشعب ، وعصر الزعماء ، وعصر العلماء ، وعصر الفنانين والمفكرين . عصر مصر الثائرة المبدعة ، المحاربة المناضلة . عصر الاستقلال والحضارة والديمقراطية .

فلنذكر تلك الحياة العامرة بكل جليل وجميل ، ولنذكر زعيميها رمزا

التضحية والفداء ، والولاء للشعب والمثل العليا ، ولنذكر كيف عاشا مجاهدين فى المنفى أو فى الشارع ، فى الحكم أو فى المعتقل ، حائزين دائماً وأبدًا لِحُبِّ الناس ، وهدفاً لغضب الاستعمار والديكتاتورية . عاشا ما عاشا كريمين ، وماتا فقيرين ، مخلفين شعبًا يضطرم بغنى النفس ، وعذوبة الأمل ، والتطلع الدائم إلى سماوات الحضارة .

(٢٥ أغسطس ١٩٨٨)

أهداف ثورة يوليو والواقع

الثورة يمكن أن تتبلور عند المراجعة فى خطين ، خط النيات والأهداف ، وخط الممارسة والواقع ، ونحن نذكر ولاشك نيات ثورة يولية وأهدافها ، كما أننا عايشنا ممارساتها وواقعها ، وقد وجدنا أنفسنا فى فترة من تاريخها فى مأزق من الشدة والمعاناة دفع البعض إلى اعتبارها نكبة من نكبات الدهر تمنى معها لو لم تكن حدثت أصلاً ، وتلك رؤية متعجلة وخاطئة ، ومما يحز فى النفس أن بدايتها الرائعة كان يمكن أن تمضى إلى غاية أروع ، ولكن لا جدوى من «لو» فى التعامل مع التاريخ ، فما حدث قد حدث ، غير أن الستارة لم تسدل بعد ، وما هى إلا مرحلة مشحونة بالمعاناة ، وثمرة مُرَّة لأخطاء مُرة ، وباستيعاب الدرس القاسى الذى نُعْتَبر جميعًا مسئولين عنه نستطيع أن نتحدى التحديات ، ونقهر العثرات ، ونجدد الأجساد والأرواح ، ولاشك أننا تعلمنا اليوم :

١ ـ أن العدالة الاجتماعية روح أى مجتمع يستحق الحياة .

٢ ـ أن الديمقراطية هى الأساس الصالح لأى حُكم صالح .

٣ ـ أن الوحدة الوطنية هى قاعدة النهضة .

٤ ـ أنه لا بديل من التوجه نحو العصر على أساس من العلم والثقافة .

٥ ـ أنه لابد من نهضة دينية تنقى العقيدة من الخرافات والجمود ، وتجلى جوهرها كمصدر إشعاع للقيم الرفيعة والإخوة الإنسانية .

٦ ـ أنه لا غنى عن الإخوة العربية ، باعتبارها إخوة حضارية ، ثقافية ، اقتصادية ، منطلقها النهوض ، وغايتها العطاء .

ومَنْ يستوعب كارثة حلت به كما ينبغى له ، عُدَّتْ مع الأيام من مقومات حظه السعيد .

(٣٠ يوليو ١٩٨٩)

سعد زغلول وعودة الروح

سعد زغلول ومصطفى النحاس هما رمزا ثورة ١٩١٩ ، وثورة ١٩١٩ هى الرمز الخالد لعودة الروح إلى شعب مصر العريق . وقد قامت ثورة الشعب لإلغاء الحماية ، والسعى إلى الاستقلال ، ولكنها فى خضم نضالها الطويل تبلورت فى معالم أساسية لاتقل عن الاستقلال أهمية وجلالاً .

أولاً : فهى وُلدت فى الشارع بتلقائية روحية رائعة ، وتفجرت بين الجماهير بدافع من روح شعبية غامرة ، فلم يعرف شعب مصر إيجابية فعالة ـ وقوة فى المبادرة ، واعتمادًا على الذات ـ كما عرفها فى رحابها الخلاق ، فتوجه بكل قواه نحو الحياة العامة والانتماء الوطنى والانغماس فى النضال السياسى ، وأبدع فى أحضانها نهضةً اقتصادية ، ويقظةً نسائية ، وخَلْقاً فى ميادين العلم ، والأدب والمسرح ، والموسيقى ، والفن التشكيلى ، والرياضة البدنية ، ولمعت له نجوم فى جميع تلك الميادين تمثل النخبة الرائدة فى السياسة والاقتصاد والأدب والعلم والفن والفكر .

ثانياً : وهى قد حققت الوحدة الوطنية بين الجموع ، فمضى الشعب المصرى كالبنيان المرصوص يتصدى لتحديات الاستعمار فى الخارج

والاستبداد فى الداخل ، ويصمد لكل ساعٍ بالشر والوقيعة فيتخطاه فى عظمة وكبرياء .

ثالثاً : وهى سعت سعيها الدائب لخلق نظام ديمقراطى يقوم على أكتاف الشعب من أجل الشعب ، وتُصان فيه حرية الإنسان وحقوقه ، ومن أجل ذلك خاضت معارك متواصلة مع الملك تارة ، ومع الإنجليز تارة أخرى ، ولم تتخل عن هدفها حتى اللحظة الأخيرة من العمل المتاح .

وقد جاءت ثورة لتكمل المشوار ، وها نحن اليوم ننعم بالاستقلال والديمقراطية ونناضل فى سبيل السلام والرخاء ، فلتكن ثورة ١٩١٩ مرجعنا كلما أردنا لديمقراطيتنا الكمال ، وَلِوَحَدْتِنَا الوطنية السلامة والأمان ، ولروح شعبنا الإيجابية والانتماء والنضال .

(٢٤ أغسطس ١٩٨٩)

وصف مصر

تعالوا نُلْقِ نظرة موجزة على واقعنا ، لتكن نوعاً من الحساب الختامى المؤقت عن الفترة التى تبدأ بالصفر الذى هبطت بنا إليه الأحداث ، ولنتجاهل التاريخ ، لا لعدم أهميته ، ولكن لأنه قد قيل فيه كل ما يمكن أن يقال . . فكيف نرى وجهنا فى مرآة الزمن ؟

١ ـ سياسة خارجية تتسم بالنشاط والحكمة وبُعد النظر والتخطيط السليم .

٢ ـ نهضة تبشر بالأمل ـ وإنْ تفاوتت فى الدرجة ـ فى التعمير ، والزراعة، والمواصلات ، والكهرباء ، والتعليم ، والرى ، والأمن ، والثقافة ، والبحث العلمى ، فضلاً عن الإنجازات التى تمت فى الجيش والهياكل الأساسية ، ويجب ألاَّ نغفل هنا عمَّا يحدث حولنا ، ولا أن نتهاون فى شئون الصيانة والتجديد .

٣ ـ نظام حكم ديمقراطى تشوبه رواسب حكم شمولى سابق فتختلط فيه الحرية بالطوارىء والانطلاق بالقيود .

٤ ـ نظام اقتصادى يتلمس طريقه إلى الإصلاح بحذر وبطء، ولم يثبت قدرته بعد أمام الغلاء والمعاناة العامة .

٥ ـ إدارة هابطة تعانى من قلة الكفاءة وشحوب النزاهة والعجز عن تحقيق العدل واحترام القانون .

٦ ـ وهناك مشكلات الشباب من بطالة سافرة ومقنعة ، وطرق مسدودة أمام الاحتياجات الأساسية للإنسان .

٧ ـ ومازالت المخدرات مشكلة ، ومازالت هجماتها الشرسة مستمرة .

٨ ـ أخيرًا وليس آخرًا «الفيروسات» الفتاكة التى تتسلل إلى الأخلاق ، والعلاقات البشرية .

وما أعرض هذا الحساب الختامى إلا للتذكير ، وهو يحوى الكثير مما لايسر ، ولكنه لا يدعو لليأس أو اللامبالاة ، وقد مرت الأمم العظيمة بمثله أو بما هو أسوأ منه ، ولكنها لم تخرج من ظلماته إلا بالعمل والعلم والإيمان .

(١٥ مارس ١٩٩٠)

تطوير إنجازات ثورة يوليو

الاحتفال الحقيقى بحدث تاريخى مثل ثورة يوليو يجب أن يتجه نحو إعادة النظر فى بغية تجديده بما يقتضيه جريان الزمن الذى لايتوقف . كفانا حديثاً عن إيجابياتها فى تحقيق العدالة الاجتماعية ، والنهوض بالمجتمع فى شتى مرافقه ، فقد قيل ذلك مراراً وتكراراً ، وسعدنا بتوفيقه كما شقينا بانحرافاته . وكفانا حديثاً عن سلبياتها ، فقد استخرجنا منها الدروس والعبر لكل ذى بصيرة وبصر . ما يجب أن نركز عليه اليوم هو : كيف نطور رؤاها وتوجهاتها فى عالم يسير بخطى ثابتة نحو الديمقراطية السياسية ، والحرية الاقتصادية ، والتوحد الثقافى تحت مظلة من القيم الإنسانية الشاملة .

حقًّا لقد كرست الثورة قيمة إنسانية لاغنى عنها ، هى العدالة الاجتماعية ، ولكن جاء ذلك على حساب الحرية الفردية وحقوق الإنسان السياسية ، فعلينا اليوم أن نؤسس مسيرتنا على القيمتين معاً ، العدالة الاجتماعية ، والحرية السياسية والاقتصادية والفكرية ، وهو موقف قال أُناس قديماً : إنه مستحيل ، وإنه لابد من اختيار أحد الطرفين ، واتُّهمنا من أجل ذلك بالتلفيقية والمثالية والخيالية . . إلخ . ولكن أكدته اليوم ثورة إعادة البناء فى البلاد الشرقية ، بل فى العالم الثالث كله .

الموقف الجديد يتطلب النشاط الدائم، وتنحية التعصب ، والإفلات من قبضة الشعارات ، كما يتطلب إعادة النظر بشجاعة وإخلاص فى كل شىء ، تحقيقاً للعدالة والحرية بدون قيد أو شرط ، وسعياً وراء الكمال من أجل إقامة مجتمع أفضل لخير الناس جميعاً ، بدون تفرقة بين طبقة وطبقة ، أو حاكم ومحكوم .

لخير الناس جميعًا يجب أن نعيد النظر فى الحياة السياسية والاقتصادية والخدمات والمراكز القيادية التى يجب أن يتبوأها القضاة ورجال البحث العلمى ، ولنعلم أن التمسك بإنجازات ثورة يوليو كما خرجت للوجود هو حكم بإعدامها لتخلفها عن الزمن، وأن تطويرها للحاق بقطار الزمن هو بعثها وتجنب إهدار ما بذل فيها من جهد ودماء وعذاب .

(١٩ يوليو ١٩٩٠)

من وحى الواقع

من متابعة الأحداث ـ وبخاصة بعد خطاب الرئيس فى احتفال ثورة يولية ـ تتجلى لنا حقائق هامة حيوية .

نحن اليوم على علاقة طيبة بناءة مع العالم كله ، نحن اليوم فى نطاق تعاون عربى شامل مثمر يبشر بآمال واسعة ، نحن اليوم نسير بأقدام ثابتة نحو ديمقراطية حقيقية تجمع بين الحرية والعدالة الاجتماعية سبقنا بها ثورة الدول الاشتراكية على الحكم الشمولى والشعارات الجامدة .

أنفقنا ٩٣ مليار جنيه فى الطور الأخير من الثورة استثمارات لتجديد البنية الأساسية لمشروعات قومية كبرى ، نهضة ملموسة فى الزراعة والصناعة والكهرباء والنقل والإسكان والمدن الجديدة ، وبداية ثورة فى التربية والتعليم .

أهدافنا المستقبلية تتبلور على ضوء ذلك كله مؤكدة دورنا بين دول العالم ومنطلقنا مع الأمة العربية ، وتطوير مجتمعنا نحو درجة من الحداثة تؤهله للعمل والإنتاج وممارسة الحرية والتمتع بحقوق الإنسان .

هذا هو مشروعنا القومى لمن يبحثون عن مشروع قومى ، وهذا هو الانتماء لمن يعانون من السلبية ، وهذا هو الجهاد لمن يستنيمون للكسل أو يتعللون بالأعذار .

ولكن أليس غريباً بعد ذلك الجهد المبذول والمال المنفق أن نظل ضحايا للمعاناة والأسى ، والعديد من السلبيات ، وسوء ظن البنك الدولى ؟ قد يعنى هذا أننا كنا قد هوينا إلى أسوأ درجات الفناء ، وقد يعنى أن الجهد المبذول مازال دون المطلوب ، وأن الأخلاق مازالت دون المستوى المنشود ، ولكنه يحدد فى النهاية خطة العمل وهدفها ، وهى أن نزيد من علاقاتنا الطيبة مع العالم ، ونؤكد التحامنا العربى ، ونوسع الخُطَى نحو الديمقراطية الكاملة واحترام حقوق الإنسان ، ونضاعف قوة العمل ، ونهيىء له المناخ الصالح العادل .

وفى كلمة : أن نقضى على كل عقبة ، ونشجع كل انطلاقة ، غير مبالين بأى شعار سوى شعار التقدم والنجاح فى صحبة قيمنا السامية .

(٣ أغسطس ١٩٩٠)

رحيل الأستاذ

حين عرفته فى ندوة «كازينو الأوبرا» قبل الثورة عرفتُ فيه أستاذًا يكرس ذاته للعلم والثقافة . جاء للتعرف على أعضاء لجنة النشر للجامعيين ، وكان مجلسنا يجمع بين الجد والسمر ، يدور الحديث فيه حول أمور النشر ، وأحزان السياسة ، وآخر ماذاع من نكت . ولكن الضيف الجديد بدأ جادًّا مثقلاً بأمانة الثقافة ، مستهدفاً العمل الجاد فى نشرها ، وأول حديث جرى له معنا كان حول دراسة إنشاء مجلة أدبية ثقافية أسبوعية تكون صوتاً للجيل الجديد ، نُقَّادًا ومبدعين ، وللأسف كانت لجنة النشر تشق طريقها فى شىء من العناء ، ولا تملك من الوسيلة ما تغامر به فى مشروع آخر لا دراية لأحد من أعضائها به .

وبعد سنوات من ذلك التاريخ انضم إلى «الحرافيش» عضو حر يجىء أحياناً ويغيب أحياناً ، فتوثقت علاقات المودة بينه وبينهم ، وكان مجيئه فى المرة الثانية بعد نضج شخصيته كأستاذ فى الجامعة ، ومستشار لوزارة الثقافة ، وناقد كبير ، ومفكر يتسم بالصدق والشجاعة والاستنارة ، ولم تفارقه صفات الجدية والالتزام والرصانة ، يشارك فى المناقشات الجادة وكأنه يحاضر ، ويمس الهزل مسًّا خفيفاً ، أو يقنع بموقف المستمع الباسم ، ولكن قُرَّة عينيه الحقيقية فى التفكير الجاد والتعليق العميق على أحداث السياسة والثقافة ، إنه لعَلَى أتم الاستعداد لينفق الساعات فى

ذلك دون تعب أو ملل ، وكأنه ما خُلق إلا للاستبانة والمحاضرة والتعامل مع الأفكار من خلال الحاضر المفعم بالإثارة ، والتاريخ الحافل بالمتناقضات .

إنه عَلَم من أعلام جيل الجدية والاستنارة والحرية والانتماء والوحدة الوطنية ، وقد تمخض جهاده الطويل عن نخبة من أفضل الأتباع المستنيرين ، ونقد عميق شامل لأدبنا المعاصر ، وفكر حر جرىء قد تتفق معه أو تخالفه ، ولكن لا يسعك إلا أن تجله وتحترمه ، وبذلك صار رمزًا من أعظم رموز حياتنا الفكرية وتطلعاتنا الشريفة نحو غد أفضل ، وعصر أعظم إنسانية وحضارة .

وها هو ذا الموت يتلقاه وهو فى ذروة النضج والعطاء ، ثمرة تنضج بالطيب ، وتجود بالخير ، وتشع نورًا وبهاء ، فيخسرها أهلها ومواطنوها ، ولكنها تلقى الجزاء الجميل فى رحاب ذى الجلال . . وداعاً لويس عوض .

(١ سبتمبر ١٩٩٠)

جهاز الأمن

جهاز الأمن فى مصر مؤسسة جديرة بالثقة والاحترام ، جديرة بالثقة حقًّا وفعلاً ، وإنَّ قبضها على القتلة فى تلك المدة الوجيزة لِمَمَّا يشهد لها باليقظة والبراعة وقوة التصميم وحسنِ التنظيم والشجاعة مع الاستعداد للتضحية ، وبين كل حين وآخر تنقضُّ على تنظيم فى وكره وهو يشحذ سلاحه ويمكر مكره ، فتقى المؤسسات والمواقع ما يراد بها من شر ، وتصون دعائم الاستقرار ، مما يستهدفه إعداد البلاد فى الداخل والخارج .

وهى جديرة بالاحترام ، لأنها تتلقى النقد بصدر رحب ، وتؤمن بالحوار إذا وجب الحوار ، ولا يعز عليها أن تعترف بالخطأ إذا عرض ، وتعمل بكل همة وحزم على تصحيحه وتلافيه .

أجل قد يُذكر تدخلها فى الانتخابات أحياناً ، أو خشونتها مع الشعب فى بعض مواقفه التاريخية ، ولكن علينا أن نعرف المسئول الحقيقى عن ذلك ، وهو نظام حكم لمختلف العهود ، أما جهاز الأمن فلا يسعه إلا أن يؤدى واجبه متحملاً أمام الناس سوءات غيره .

ونعود إلى الاغتيال فنقول : إن مقاومته من أشق المهام ، وأنه لا يخلو منه وطن ، حَتى لَيُعَدّ الإرهاب اليوم ظاهرة عالمية شريرة ، كالتلوث ، ولكن كفاءة الجهاز الأمنى تُقاس بنشاطه العام ، وسياسته المدروسة ،

وإنجازاته اليومية . ولعله مما يُذكر أن أحدثكم عن جمعية الاغتيالات الكبرى التى نشأت فى خضم ثورة ١٩١٩ ، وكيف عملت خمس سنوات متتابعة دون أن يهتدى أحد إلى خيط يوصل إليها ، بالرغم من إشراف الإنجليز على الشرطة ، وبالرغم من أنهم كانوا الهدف الأول للجمعية ، وسقطت خلية واحدة عام ١٩٢٤ بفعل الخيانة لا بمجهود الشرطة .

أكرر : إن جهاز الأمن فى مصر مؤسسة جديرة بالثقة والاحترام . وأتمنى أن تحصل على جميع احتياجاتها من الموازنة لتبلغ درجة الكمال .

وأترحم على شهدائها الأبرار ، وأُحَيى العاملين من رجالها فى خدمة الشعب . . والاستقرار .

(١ نوفمبر ١٩٩٠)

مولد عالم جديد

أملنا أن يكون عالماً جديدًا ، وأصروا على أنه كلام معسول يضمر مؤامرة قديمة مكررة ، وكانوا فى سوء ظنهم على يقين ، ولم نكن فى حسن ظننا على يقين ، ولكننا تابعنا تباشير الخير بخيال صاف ، وانتظرنا ظهور الحقيقة عند الامتحان والتجربة ، وها هى ذى الحوادث تتتابع مؤكدة حُسن ظننا وسلامة حكمنا .

فالرئيس الأمريكى يسعى بدأب لايعرف الكلل نحو عقد مؤتمر السلام ، إيماناً منه بما ينبغى لمنطقتنا من استقرار وسلام وتنمية . . وهو فى سبيل ذلك وقف حيال إسرائيل وقفة متشددة لم يعرف لها مثيل من قبل ، غير مبالٍ بالمصلحة الانتخابية ، أو العلاقة الخاصة التى تربط بلاده بإسرائيل . . ثم إنه سبق إلى دعم السلام العالمى بخطوة صادقة عندما اتخذ قراره بتخفيض الترسانة النووية الأمريكية .

ألا يدل ذلك على أن عالماً جديداً يولد ، مبشراً بروح جديدة ومبادىء جديدة ونظرة بشرية جديدة ؟

حقًّا لقد تشاءم قوم من انفراد دولة واحدة بالقوة فى العالم . وهو تشاؤم جدير بالاعتبار لو ظل العالم على طبيعته التقليدية ، العالم الذى يقوم على القوة والبأس ، ويستغل فيه الأقوياء ضعف الضعفاء لتحقيق مصالحهم ، العالم الذى أفرز العبودية والاستعمار ، ولكن دولة اليوم

القوية تنفرد بالقوة فى عالم تربى على أيدى العديد من الثورات السياسية والاجتماعية والثقافية ، عالم هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن وحقوق الإنسان ، فهى دولة سوف تتسم بالزعامة لا بالسيادة ، سوف تقوم مل الأمانة لا لتستغل الضعفاء ، وسوف تمارس مع الزمن الأبوة لا .

يجب أن نرحب بمثل هذه الزعامة الرشيدة ، فبها تُحَل مشاكل الأمم ، وتواجه الكوارث الطبيعية ، ويمكن التصدى حقًّا للتلوث والمخدرات والأمراض والتأخر والجهل والتعصب وسائر الآفات البشرية .

(٣ يناير ١٩٩١)

سن الرشد

تحلو العودة إلى ذكريات الماضى كلما أحدقت بالمرء متاعب الحاضر ، لذلك نسترده من غياهب الزمن مغلفاً بالحنين والسعادة ، متناسين معاناته ومتاعبه . . ما أكثر الذين يتحدثون عن الماضى بهذه الرومانسية بكل صدق وإخلاص ، ولكن دون أن يفطنوا إلى خداع الزمن . . يحدثونك عن الأسعار الخيالية فى رخصها ، والمرتبات الصغيرة التى وفت باحتياجات أسر كبيرة . . يحدثونك عن القاهرة النظيفة ، الناعمة ، الجميلة ، الهادئة ، النقية ، وحراسها الساهرين نهارًا وليلاً من رجال الأمن . يحدثونك عن روابط الأسرة المتينة ، وتقاليدها الراسخة ، وآدابها العتيدة ، والمدرسة المتكاملة، ومدرسيها الوقورين ، وتلاميذها المؤدبين المجتهدين ، يحدثونك عن حرية الفكر ، وازدهار الأدب ، وانطلاق الصحافة ، وتعدد الأحزاب ، وحماس العمال ، وما أحلاها عيشة الفلاح!

إنهم صادقون ولاشك ، ويمكن أن نضيف إلى أمثالهم الكثير، ولكنهم ينسون حيال تجهم الحاضر وشدته أنَّ مجتمع الماضى كان مجتمع القلة المنعمة ، والكثرة المحرومة الكادحة ، وأنه كان مجتمعًا متأخرًا إذا قيس بعمره الحضارى ، يستبد به ملك ، ويحتله جيش أجنبى ، ويعبث به طغاة لحساب الملك تارة ، ولجيش الاحتلال أخرى ، ويحكم فيه من

لا يستحق الحكم شرعًا ، تنميته محدودة ، وآماله متواضعة ، ومشكلاته بالتالى صغيرة مُنْزَوِية .

وبرغم متاعبنا الراهنة التى لاتُحصى ، ومعاناتنا التى أشفقت علينا منها الشياطين ، برغم الفساد والديون ومشكلة السكان . والغلاء ، فمصر اليوم تخوض فترة انتقال ، وتكابد آلام المخاض ، وتتطلع إلى الآمال الكبار ، ما أكثر مدارسها ، ما أكثر طلابها ، ما أكثر جامعاتها ، ومؤسساتها الثقافية والعلمية ، ومصانعها ، وشركاتها ، ما أجمل تعاملها مع الدول ، وغزوها للصحراء ، وانفعالها بشتى تيارات الفكر يميناً ويساراً ! ولعمرى ، إن عذاب الجهاد لَخَيْرٌ من نعيم البلادة ، فإلى الأمام دائماً وأبدًا . . نتلقى الآلام والمعاناة من خلال بركات الحياة والتقدم .

(١٦ مايو ١٩٩١)

الرحيـــل

أغلب العظماء يحققون رسالاتهم خلال تجارب حلوة ومرة : انتصارات وهزائم ، أرباح وخسائر ، مسرات وأحزان ، تلك مقادير تصاحب كل تغيير هام فى الحياة ، إلا عظماء الفن ، فهم يصنعون السعادة ويهبونها بدون قيد أو شرط ، يكرسون حياتهم لإسعاد البشر ، من يقبل جميعهم فهنيئاً له ، ومن لايقبله فله كل الحرية فى الإعراض عنه إلى حين، أو إلى الأبد . هم أصحاب السعادة فى هذه الدنيا حقًّا وصدقاً، من يرحل منهم فى شبابه يخلف حسرة الحزن ، ومن يرحل فى شيخوخته يخلف حسرة العِشْرَة الجميلة ، والذكريات العذبة . ولهم صداقة عامة تغلب أى علاقة شخصية ، فهم فى أعماق الشعور ، أيًّا كان حظ الإنسان من الارتباط الشخصى بهم فى ساعة لاتنسى من الزمن.

وأنا فى المرحلة الابتدائية وأول عهدى بالثانوية تهادَى إلى سمعى فى الطريق صوت جديد يردد أغنية مليحة من أسطوانة تدور فى مسكن أو مكان ، فجذبتنى بشدة ، وسألت عن صاحبها . وهكذا بدأ تاريخى الاستماعى لمحمد عبد الوهاب، وزكاه لَدَىَّ ما قيل عنه من أنه تلميذ سيد درويش وخليفته . ثم تابعت إنتاجه ، وشهدت الكثير من حفلاته، ومضت ألحانه تتراكم فى وجدانى ، نَاقِشَةً تاريخًا متجددًا من

حياة مصر العامة والخاصة ، مرددة أفراحها وأحزانها ، مترجمة جميع ما يخفق به قلب الشارع والبيت والحقل ، الواقع والحلم ، النساء والرجال ، الشيوخ والشبان ، مذيبةً ذلك كله فى ألحان عذبة ، تعاون فى تقديمها الإبداع والخبرة ، والعلم والذكاء ، والقدرة الفائقة على التنسيق . فكان المؤلف والسينارست والمخرج ، ليقدم فى النهاية ذلك البوفيه المفتوح على الشرق والغرب ، الممثل خير تمثيل لموقف مصر من الحضارتين ، ومن الأصالة والمعاصرة ، ومن الخلق والاقتباس المشروع . وجرت مجموعة ألحانه كالأجندة للحياة الخاصة والعامة ، يندلع اللحن فيجر وراءه ذكرى وطنية أو سياسية أو اقتصادية أو عاطفة شخصية استنقذتها الألحان من العدم ، وخلّدتها أجمل تخليد فى أعذب الأشكال المحفوفة بالأنغام والطرب ، يرسلها أجمل الأصوات وألصقها بالقلوب .

أيها العزيز الراحل : لقد أخذ الموت منك ما يستطيع أن يأخذ ، ولكنه ترك لنا ما يعجز عن أخذه .

(٢٣ مايو ١٩٩١)

الإثارة والقيمة

علَّمنا تاريخنا المعاصر أن نهتم أول ما نهتم بالحوادث المثيرة ، ووجدنا ضالتنا فى الأحلام الكبيرة والمغامرات البراقة ، وكأننا نلوذ فيها بمهرب من واقعنا المتجهم ، وتطورنا البطيء، ومشاكلنا المتفاقمة ، فإذا افتقدنا الإثارة والمغامرة والخوارق توهمنا أن دنيانا خلت من هدف نلتف حوله يوفر لها الانتباه والعزيمة . وإنى لأَعْجَبُ لقوم يعانون من مشكلات مثل الانفجار السكانى ، والتلوث ، والغلاء ، والفساد ، والبطالة ، والقهر، والقوانين الاستثنائية ، والإرهاب ، أعجب لقوم يعانون من ذلك كله ويبحثون فى الوقت نفسه عن هدف لمجتمعهم فى التاريخ ، أو الهواء ، أو الشعارات الخاوية ، من أجل ذلك أرجو أن نولى الإصلاح الاقتصادى ما يستحقه من اهتمام وتضحيات، وأن نتابع وعود الإصلاح الإدارى بيقظة وأمل ومراقبة حية ، وأن نشجع كل حركة ترمى إلى الإصلاح السياسى المنشود ، فذلك وما يماثله هو نسيج حياتنا الحقيقية، وهو هدف هذا الجيل الأول الذى يعتبر أى هدف آخر ثانويًّا بالقياس إليه .

ولعله من الخير أن أدعوكم إلى المشاركة فى الاحتفال بالأخبار الآتية :

الأول يقول : إن مصر وليبيا خطتا خطوة جديدة على طريق التكامل بينهما ، وإنهما بصدد وضع خطوات تنفيذ الاتفاق على إقامة تجمعات

زراعية ، هذا عمل حقيقى من أجل وحدة حقيقية تجيء عندما تنضج وتقوم على العمل والمصالح المشتركة والنهوض بالشعوب .

الثانى يقول : إن وفدًا تابعاً لشركة أمريكية عملاقة تَفَقَّدَ إمكانيات الهيئة العربية للتصنيع ، وشهد لإمكانياتها بالتفوق ، بل اعتبرها شيئاً مذهلاً ، وقد حصلت الهيئة على عقدين لتصنيع قطع غيار هامة للشركة الأمريكية ، فما أحوجنا إلى خبر أو اثنين من هذا النوع كل عام ليعيد إلينا الروح ، ويحيى فينا الأمل .

والثالث يقول : إن الدكتور محمد حلمى مراد وجه رسالة إلى الكاتب الكبير مصطفى أمين يخبره فيها أن لجنة قومية فرغت من صياغة دستور جديد تمهيدًا لعرضه على الشعب . وهذا عمل مبتكر للمعارضة تتحول به إلى «وزارة ظل» ، طالما أن تداول الحكم متعذر فى الظروف الراهنة .

وبعد، ألا تستحق هذه الأخبار أن نحتفل بها ونواليها ما تستحقه من تقدير وإعجاب ؟

(١٣ يونيو ١٩٩١)

القراءة للجميع

إن مشروع القراءة للجميع الذى ترعاه السيدة «سوزان مبارك» إنجاز ثقافى عظيم بكل معنى الكلمة مشروع يجب أن ينمو ويستمر وينتشر ، وأن يُؤيد دائماً وأبدًا بالعناية والرعاية والحماس حتى تتحقق أهدافه ، وتجنى ثمراته . وفى مجال الثقافة تتركز مهمة المجتمع الأولى فى خلق المواطن المثقف ، المواطن الذى يحب المعرفة ، ويعشق الجمال فى شتى صوره الفنية والطبيعية ، فإذا تكونت للمثقفين قاعدة بنسبة معقولة كفلت وحدها حل جميع المشكلات الثقافية دون حاجة إلى تدخل من الدولة ، إلا فيما يتعلق بالتشريع والتشجيع والمشاركة فى العلاقات العائلية .

إذا وُجدت هذه القاعدة حلت مشكلة النشر للكبار والجدد ، فإن الناشر الخاص - قبل العام - سيسعى بجده لاكتشاف المواهب واحتضانها ، ولن يواجه الناشىء من الصعاب إلا ما تقتضيه الدراسة والإعداد وخدمة الموهبة .

وبالمثل تحل مشكلة الصفحات الأدبية فى الصحف والمجلات ، فتتحقق العناية بها احتراماً لِوَفْرة قرائها ، مثل صفحات الرياضة وغيرها .

ويضاعف التليفزيون والإذاعة اهتمامهما بالبرامج الثقافية الجادة ، إرضاءً لفئة لا يستهان بعددها ومطالبها .

ويكثر الإقبال على المعارض التشكيلية ، وحفلات الموسيقى الرفيعة ، والمسرحيات الحقيقية ، والأفلام المبدعة .

إن خلق المواطن المثقف أهم إنجاز يمكن تقديمه فى مجال الثقافة ، حقًّا إنه مشروع عظيم ، ويجب أن يستمر وأن ينجح . . ولراعيته منا الشكر والتقدير .

(٢٠ يونيو ١٩٩١)

الوضـــوح

ماذا يقول المشاهد المحايد عن القرارات الخطيرة التى تصدر تباعاً فتثير من الخلافات ما تثير ، وتتسبب فى أذًى جسيم بغير قصد ، وتنذر أحياناً بنتائج تتناقض مع سياسة الدولة المعلنة ؟

يجب أن تكون السياسة واضحة للجميع ، وأهدافها محددة ، وألاَّ يتناقض أى قرار مع السياسة وأهدافها ، بل يكون مؤيدًا لمسيرتها ، عاملاً على تثبيتها وترسيخها ونجاحها . . سمعنا كثيرًا الدعوة تتردد إلى الاستثمار وتشجيعه ، وكان يجب أن يتبع ذلك تهيئة المناخ الصالح للاستثمار ، والتفاهم مع مطالب رجال الأعمال، وقد عُرف ما قيل عن أموال المصريين فى الخارج وعن استعدادهم للعمل ، وعن مطالبهم، علينا أن نتحقق من صحة ما قيل ، وأن نمضى فى التفاهم على ما يحقق لنا تنمية اقتصادية حقيقية بغير حاجة إلى القروض ، وفتح مجال العمل لأبنائنا المخلصين فى الداخل .

يجب أن تكون الأهداف واضحة ، والعزيمة صادقة ، والمشورة شاملة . لم يحدث ذلك فيما أعتقد فى قانون ضريبة المبيعات . حسبك أنه طُبِّقَ قبل صدور لائحته التنفيذية ، وحسبك ما ارتُكب باسمه من أخطاء قرأنا أنباءها فى الصحف فى صورة احتجاجات وصرخات

وعذابات ، والناس أولاً وأخيراً مواطنون محترمون لا فئران تجارب للقرارات المتسرعة .

وهناك أيضاً قرار الائتمان الخاص بالبنوك ، وقد عارضه رجال البنوك ورجال الأعمال معارضة تجعل المشاهد المحايد يعتقد أنه اتخذ بمعزل عنهم ، وهم من أصحاب الرأى الأول فيه . ألم تكن الحكمة تقتضى التشاور قبل صدور القرار لابعد صدوره ؟

نريد سياسة واضحة ، وأهدافاً واضحة ، ومشورة وقرارات سليمة .

(٢٧ يونيو ١٩٩١)

عند الامتحان

بشَّرنا تطور الحوادث بين الكتلة الاشتراكية والكتلة الغربية بمولد عالم جديد . . عالم يقوم على تجنب العنف فى حل مشاكله ، ويستند فى رؤيته على دعم الحرية والعدل، ولنا فى هذا السبيل تجارب سابقة ، مثل عصبة الأمم التى مُنيت بالفشل ، وهيئة الأمم التى حققت نجاحاً مقبولاً ، حقًّا لم تقض على صراع العمالقة ولا على العبث أحياناً بمصائر الأمم الصغيرة ، ولكن فى ظل رعايتها استقلت شعوب كثيرة ، وفرضت العقوبات على جنوب إفريقيا ، كما انبثقت منها هيئات تؤدى خدمات حقيقية فى التعليم والصحة والثقافة والتنمية ، وفى ظلها أيضاً أصبح للعالم رأى عام ملموس ، وضمير عالمى لايمكن تجاهله .

من أجل ذلك أمّلنا خيراً فيما بُشِّرْنَا به من مولد عالم جديد ، وأبينا أن نسبق بالريبة وسوء الظن ، تأثرًا بتاريخ طويل حفل بالأحزان وخيبة الآمال، وشاء القدر أن يكون شرقنا الأوسط هو الامتحان الأول لهذا العالم الجديد ، فقد حدث فيه عدوان شرير ، تحدى أسمى المبادىء ، وهدد أخطر المصالح ، وأدانه العالم ، وطالب بحله سلميًّا ، فلما أعيته الحيل ، حله بالقوة ، فحرر المقهورين ، وأمَّن المصالح العالمية ، وأنزل العقاب بالمعتدين .

لكن العمل لم يتم بعد ، ومازال الشرق الأوسط يحتفظ للعالم الجديد بامتحان جاد ، لعله أهم من الأول ، فكثيرًا ما يكون السلم أصعب فى إقامة أركانه من الحرب نفسها .

اليوم يتصدى العالم لمشكلات المنطقة ، وعلى رأسها القضية الفلسطينية ، والعلاقات العربية الإسرائيلية ، والأسلحة غير التقليدية ، وقضايا الأمن والتنمية .

لا نذكر ما بُذل ويُبذل من جهد متصل ، ولا ما نلمس من تصميم عام على حل المشاكل . ولا أتصور ، أو لا أريد أن أتصور ، أن يقف الجهد العالمى أو يتراجع إذا اعترضه خندق ملىء بالعناد والأنانية ، لا أتصور أن يرضى بالسقوط فى الامتحان والتضحية بحلم «العالم الجديد» .

إنه امتحان حقيقى ، وعند الامتحان يُكرم المرءُ أو يُهان .

(١١ يوليو ١٩٩١)

وداعًا يوسف إدريس

كان ميلاده الأدبى ثورة ، كما كانت حياته الأدبية ثورة مستمرة ، ثورة على القوانين الفنية والاجتماعية ، يقتحم كل شىء بجرأة ، ويعالجه بطلاقة ، فيثير من حوله زوابع من الإثارة والانفعالات دون مبالاة بشىء ، إلاَّ ما يمليه عليه وجدانه ، وتتطلع إليه أحلامه .

وقد لفت الأنظار منذ أول كلمة نشرها ، ومنذ أربعين عامًا واسمه يتردد على الألسنة كمثَلٍ حىٍّ للإبداع القيم والفنِ الجميل ، ومضى بخصوصية عجيبة فى مضامينه وألحانه ولغته ، معتزًا بقدرته غير العادية على الخَلْق والإبداع .

هكذا قدم ما قدم من قصص قصيرة وروايات ومسرحيات ومقالات ، مجيدًا فى كل ما قدم ، طابعاً بخواصه الفريدة مخلوقاته المتميزة ، ويكاد ينعقد الإجماع على أنه بلغ ذروته الإبداعية فى القصة القصيرة ، وهى فن دقيق وسهل ممتنع ، إذا تيسر له الشمول مع العمق حقق فى عالم الإبداع الأدبى ما يعتبر من المعجزات ، ولكل قصصه المختارة فى ذلك المجال مما يعد من الأدب العالمى فى أصفى أحواله وأجملها .

وهو من الأدباء النادرين الذين أَثَّرُوا فى جيلهم مثلما أَثَّرَ فى الأجيال التالية ، وبلغ به إخلاصه لفنه أن وهبه كل عزيز ، وضحى فى سبيله بكل غالٍ . كان الفن معشوقه ، والتفوق فيه حلمه ، وفى سبيل ذلك

لايضن بجهد أو تقاليد أو شىء فى الوجود ، الفن أولاً وأخيرًا وليكن ما يكون ، لذلك كانت أسعد أيامه أيام العطاء، وأتعس أيامه أيام الانتظار، وحتى المرض والتجارب المرة كان على أتم استعداد للمصالحة معها والرضا بها إذا وهبته مادة جديدة ، أو فتحت له نافذة مغلقة ، أو خصته بحقيقة خافية من حقائق الوجود .

ومثل هذا المبدع إنما يُقاس فضله بما يجود به من تراث ، وهو فضل كبير ستحظى به أجيال وأجيال ، ويعم خيره السابق واللاحق ، فلا يبقى لخَصْمٍ من قول إلاَّ أن يطلب له الرحمة والمغفرة .

(٨ أغسطس ١٩٩١)

بين الحب والكراهية

من طرائف البحوث ما تقوم به وزارة العدل الأمريكية من رصد وتسجيل للجرائم التى تُرتكب بدافع الكراهية فى الوطن الأمريكى ، ولاشك أن وراء ذلك النشاط رغبة حكيمة فى فهم المجتمع ، وما يؤثر فى العلاقات المتبادلة بين أفراده وجماعاته للارتقاء بالتشريعات مستقبلاً لتجىء مطابقة لواقعه ، معالجة لأدوائه ، مهذبة لسلوكياته ، وحافظة تحقيق الإنسان فيه . . سوف يكشف ذلك الرصد عن مدى الأثر الفعلى للعنصرية ، وتباين العقائد ، وفوارق الطبقات ، وتضارب الثقافات ، والإحباطات الجنسية والعاطفية ، والصراعات الاقتصادية ، وخصام الأجيال المتتابعة .

حقًّا إنَّ الحياة الاجتماعية هدف إنسانى قديم ، وهو فى مضمونه يقوم على التعاون ، ومن أجل التعاون فيها يحقق للإنسان أمنه وأمانه وتقدمه ، ويكرس واجباته وحقوقه ، ويمهد له السبل للإبداع والرقى ، ولكن الأنانية والمنافسة وتفاوت الإمكانات تفسح مجالاً واسعاً للظلم والبغى ، والقهر والضياع ، وقد تصدت لذلك على مدى التاريخ الديانات والمذاهب ، مستهدفة تحقيق العدل والتوازن والرحمة ، ومحاربة البغى والفساد . وما القدر المتاح من السعادة للبشر إلاَّ الثمرة التى يفوز بها فى معركة الخير والشر ، أو القانون والفوضى ، أَجَلْ ، إن السلوك البشرى

يحتاج إلى مراجعة دائمة ، ويقظة ساهرة ، ويتجلى ذلك فى نهضاته الدينية ، وتجديداته المذهبية ، وفتوحاته الفكرية . . إنه فى حاجة دائمة إلى ما يفجر طاقات عقله ، ويقوى إرادته ، ويؤجج حبه للخير . إنه بحاجة دائمة إلى قهر عواطف الكراهية والشر ، وتربية عواطف الخير والحب لمواطنيه خاصة ، وللبشر عامة .

ليت كل فرد منا يسأل نفسه قبل النوم عَمَّا فعل به الحب ، وعَمَّا فعلت به الكراهية ، ليعرف أى إنسان هو ، وأى طريق يسلك ؟

هذه هى معركة الإنسان الأبدية ، وهذا هو قدره .

(١٥ أغسطس ١٩٩١)

٢٣ أغسطس

وغدًا ذكرى وفاة الزعيمين الجليلين سعد زغلول ومصطفى النحاس . حقًّا إن هموم الحاضر وتحدياته لم تترك لنا وقتاً للاحتفال بالذكريات الجميلة ، ولكن ذكرى الزعيمين لم تعد مجرد ذكرى تاريخية نقف أمامها للدرس والاعتبار ، أو التيه والفخار ، هى ذكرى خالدة بحكم التاريخ المعاصر ، تحولت مع أحداث العالم الجديدة التى يتولد من خلالها عالم جديد ، إلى رسالة اليوم ، ورؤية مستقبلية ، وأساس متين لبناء حياتنا العصرية .

إن ثورة ١٩١٩ هى ثورة الاستقلال ، وقد تم ذلك والحمد لله .

ولكنها أيضاً ثورة الوطنية المصرية ، والوحدة الوطنية ، وثورة الديمقراطية ، واحترام حقوق الإنسان ، وثورة الرأسمالية الوطنية والاقتصاد الحر ، وثورة المرأة والفكر والفن .

ونحن اليوم نخوض بحرًا من التحديات لنحقق ذاتنا ونؤدى دورنا اللائق فى المنطقة العربية ، ونقدم نموذجًا فريدًا فى الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان ، وأخيرًا لنثبت قدرتنا على المشاركة فى بناء العالم الجديد وفهمه والتعامل معه .

هذا التوجه المعاصر هو الذى بعث الحياة مرة أخرى فى تراثنا العظيم، تراث ثورتنا الشعبية فى البناء الوطنى، وأسلوب الحكم

والنهضة الاقتصادية ، والتناغم الواجب مع قوميتنا العربية والعالم الحديث مِنْ حولنا .

علينا أن نجعل من الوطنية المصرية دعامة للقومية العربية بلا تناقُضٍ معها ، وعلينا أن نوفق بين وحدتنا الوطنية وصحوتنا الدينية لتكون صحوة شاملة وإنسانية .

وعلينا أن نوفق بين انطلاقنا نحو الاقتصاد الحر وبين المحافظة على العدالة الاجتماعية .

وعلينا أن نعقد العزم على حل مشكلات المنطقة مهما كلفنا ذلك من صبر وجهد .

إن أكبر تجربة شعبية فى حياتنا لم يطوها التاريخ ولم يضمها إلى متحف ذكرياته الجميلة ، ولكن تطور العالم وضعها حيث يجب أن تكون فى المقدمة ، وسوف تظل مرجعًا نستند إليه فى تجديد حياتنا وانطلاقها .

(٢٢ أغسطس ١٩٩١)

جورباتشوف

خفقت قلوب الأحرار بالحزن فى كل مكان لعزل جورباتشوف، لم يكن رئيساً سوفيتيًّا فحسب ، ولكنه كان ـ وسيظل ـ زعيماً عالميًّا ، ورمزاً من رموز الحرية والسلام والشجاعة ، كما سيكون اسمه أول اسم يذكر ضمن عنوان العالم الجديد ـ إذا قُدِّرَ لذلك العالم أن يوجد ـ كما يحلم به البشر .

وقد طرح مشروعًا كبيرًا لإعادة البناء فى وطنه ، تضمن أسساً جديدة لإقامة علاقات جديدة مع العالم ، ولكن سياسته فى تنفيذ مشروعه لم تسلم من نقد فى داخل روسيا وخارجها ، وتنبأ كثيرون بأنه سيكون ضحية نبيلة من ضحايا المعركة الهائلة التى فجرها فى محاولة خارقة لخلق إنسانية أفضل فى عالم أسعد وأفضل ،وقد صدقت النبوءة ، فَانْقَضَّتْ عليه القوى الرجعية بوسائلها التقليدية فى صراع عنيف لن ينتهى اليوم أو غدًا .

والمسألة ليست صراعًا بين رجال ، قد تعلو كلمة الرجعية إلى حين ، وقد تتراجع موجة الحرية إلى حين ، ولكن المسألة فى النهاية صراع بين قيم فى رحاب زمن معين ، وقد ينهزم الرجل فتكون هزيمته إيذاناً بانتصار قيمه . وليس الموضوع سياسة جورباتشوف التطبيقية ، فللحرية

ثمن لايُستهان به ، وللتحول الاقتصادى ثمن فادح كذلك ، والرجعية تستغل معاناة الناس للانقضاض فى اللحظة المناسبة ، ولكن كل أولئك أمور عارضة بالنسبة للمطروح حقًّا على الناس والزمن . المطروح يتلخص فى سؤال صغير كبير ، وهو : هل يصلح العصر لديكتاتورية فى الحكم ، ومركزية بيروقراطية فى الاقتصاد ، وعدوان باغ على حقوق الإنسان ، أم أنه عصر حرية وديمقراطية واحترام حقوق الإنسان والشرعية الدولية ؟

جورباتشوف رجل عظيم ، ولكن قيمه أعظم ، وهو رجل لاينسى ، ولكن مبادئه خير وأبقى ، ولن تستطيع قوة أن تقيله من زعامته أو تنال حقًّا من دعوته للحرية والسلام واحترام حقوق الإنسان . إن الدبابة تنتصر على هدف ، ولكنها تنهزم أمام إرادة الإنسان والزمن .

(٢٩ أغسطس ١٩٩١)

أمانة الديمقراطية

كثيراً ما يوصف التيار الديمقراطى فى الوطن بالضعف مقارنة بالتيارات الأخرى ، وهذا حكم فى اعتقادى خاطىء ، ونتيجة لسلبية الجماهير الديمقراطية المرهقة بالأزمة ومطالب العيش .

وأكد هذا الخطأ الخلاف الذى قام بين جهاز الحكم والمعارضة حول مطالب المعارضة الدستورية ، مما أوحى بأن المعارضة هى الممثل الوحيد للديمقراطية ، وأن جهاز الحكم ممثل لنظام آخر .

ولكى تتضح الحقيقة بكل أبعادها علينا أن نذكر :

أولاً : أنه توجد ببلادنا ديمقراطية حقيقية محترمة تتمثل فى التعددية الحزبية ، ونشاط المعارضة ، وحرية الصحافة ، ومجلسى الشعب والشورى ، واستقلال القضاء .

ثانياً : إن ما تحقق من ديمقراطية لم يجىء ثمرة لثورة شعبية ، ولكن استجابة من جهاز الحكم لمطالب الشعب ، وقراءة رشيدة لنبض قلبه ، واستفادة حكيمة من أخطاء الحكم الشمولى .

نستنتج من ذلك أن الجهاز الحكومى ممثل للديمقراطية مثلما تمثلها المعارضة، وأن الخلاف حول المطالب الدستورية إنما قام بين فريقين ينتميان إلى أسرة ديمقراطية واحدة ، يتفقان فى الرأى والهدف ويختلفان على خطوات التطبيق .

وعلى ذلك نستطيع أن نقول : إن التيار الديمقراطى أغلبية سائدة برغم سلبية جماهيرها واختلافاتها التى ستتلاشى مع الزمن .

وقد تكون المعارضة قد سبقت الزمن بعض الشىء بمطالبها ، ولكن ألم يتأخر حزب الأغلبية عن الزمن ببطء حركته وشدة حذره ؟

على حزب الأغلبية أن يدرك رسالته الديمقراطية ، وأن يتابعها باليقظة والحزم .

لقد سبقت قراراته السياسية الأخيرة بعض مواد الدستور ، وجعلت من القوانين الاستثنائية تقاليد بالية لا تصلح لمعاصرة أفكاره الحديثة ، فعليه أن يعيد قراءة الواقع ليمهد الأرض للاستقرار الدائم ، والشرعية الدولية ، والمشاركة فى ميلاد عالم جديد .

لقد بدأتم بالتوجه نحو الديمقراطية ، وعليكم أن تسيروا فى الطريق حتى ذروة الكمال .

(١٢ سبتمبر ١٩٩١)

الشعب الروسى

كتب الشعب الروسى لنفسه تاريخاً مضيئاً فى تجربة الحضارة البشرية .

بالأمس تَبَنَّى ثورة خطيرة لم تُسبق بمثيل فى عنفها وتطرفها . ثورة أرادت أن تصفى العالم القديم من كافة معطياته وتقاليده وأبنيته لتنشىء على أنقاضه عالماً جديدًا بكل معنى الكلمة . قاد الشعب الروسى تلك الثورة ، وتصدى لتحقيق حلم الملايين من البشر فى خلق الفردوس المنشود فى هذه الحياة ، ولم يكن بد من أن يعانى المعاناة المريرة ، وأن يقدم التضحيات الجسيمة ، وأن يقنع من الحياة بحدها الأدنى ، متنازلاً فى الوقت نفسه عن حرياته البشرية وحقوقه الإنسانية ، والسعادة التى يحظى بها كثيرون من هم دونه فى الحضارة والآمال .

ولو أن النجاح أُتيح له بعد ذلك لكان رائد الإنسانية إلى حياتها الجديدة ، أما وقد تمخضت التجربة عن فشل ذَرِيع فقد أصبح - الشعب الروسى - النذير لجميع البشر لتجنب الانزلاقَ إلى حلم بَرَّاق لاجدوى منه ، ووقاهم من شر تجربة فاشلة وخسائر لا حَصْرَ لها ، فإذا فاته أن يكون الرائد فلم يفته أن يكون النذير ، والنذير لا يقل عن الرائد أثرًا فى خضم التجربة الحضارية .

ولو أن التجربة الشيوعية قامت على نظام ديمقراطى لنشأت فى جو من الحرية ، واستفادت من النقد المتلاحق لأنظمتها الاقتصادية

والفلسفية ، وتطورت تطورًا حميدًا ينقيها من جميع السلبيات التى قضت عليها .

ويمكن أن تكون الشيوعية آخر تجربة فاشلة فى حياة البشر إذا حرصت الأمم على اتباع الحرية والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان ، وخاضت تجاربها فى ذلك الجو الإنسانى الحر ، حيث لا يفرض رأى ، أو تملى سياسة ، أو يزكى انحراف بالقوة والقهر . . وعلينا ألاَّ ننسى فى هذه اللحظة السعيدة من حياة البشرية ، التى انتصرت فيها الحرية انتصارًا حاسماً ، نأمل أن يكون أبديًّا ، واندحر حكم القهر اندحارًا ، نرجو أن يكون أبديًّا كذلك . علينا ألاَّ ننسى الدور البطولى الذى قام به الشعب الروسى فى التجربة بطرفيها السلبى والإيجابى ، وأن نذكر دائماً تضحياته فى مجال الحضارة البشرية .

(٢٦ سبتمبر ١٩٩١)

التقدم بين القوة والحرية

لقد سقطت الشيوعية فى وطنها . . سقطت وهى مالكة لقوة لا قِبَلَ لأَحَدٍ بها ، سقطت بلا حرب وبدون هجوم من عدو . سقطت من ذاتها ؛ بما يعنى أنها لاتحوز أسباب البقاء ، وما لايحوز أسباب البقاء مَقْضِيٌّ عليه بالفناء من ذاته وبذاته .

وقد سقطت لأن فلسفتها تتعارض مع الطبيعة البشرية ، ولأن اقتصادها يتجاهل قوانين العمل والمجتمع . ولا أنكر أنها حققت فى بدئها نجاحًا كبيرًا ، ولكن الفضل فى ذلك يرجع إلى حماس الثوار وتضحياتهم ، فلما استقرت الأمور وهدأت النفوس ظهرت العيوب والسلبيات .

وتاريخ البشر عرف مشروعات مثالية غير قليلة ، انبعثت من أحلام رجال عظام ذوى نيات جميلة ، ولكنها طُرحت كمشروعات ، ودُعِيَ الناس إلى اعتناقها دون قهر ، كانت تخاطب القلوب والضمائر ، وتحترم حرية الإنسان ، فمارستها صفوة قادرة ، وتطلعت إليها الكثرة كمصابيح هدىً للاستنارة والعزاء ، هكذا كانت اليوتوبيا ، وهكذا كان التصوف ، ولو أُتيح لدعاة تلك المذاهب القوة ليفرضوها على الناس بالحديد والنار متجاهلين طبيعة البشر وطبائع الأشياء لتقرر لها نفس

المصير المحزن الذى تقرر للشيوعية فى روسيا . وقد عرف تاريخنا القديم حلمًا جليلاً جميلاً بشَّر به «إخناتون» ، ولكنه اعتمد فى نشره على القوة والعرش ، وتجرع خاتمة أسيفة دامية .

أجل ، لابد من الأحلام والمشروعات لتسير الإنسانية فى طريق الكمال، ولكن لا نجاح للأحلام إلا إذا احترمت الطبيعة البشرية وأدركت سر حركة القوانين الاجتماعية . وهذه مهمة لا تُتاح لرجل ولا لجماعة ، ولكن لابد من ديمقراطية شاملة يُنتفع فيها بكل رأى ، ويُستمع لكل صوت ، وتُحترم فيها حقوق الإنسان جميعاً .

الديمقراطية الشاملة خير جو للتقدم ، وأكبر ضمان للنجاح .

(٣ أكتوبر ١٩٩١)

لابد من معركة

من يخالط الناس تنهمر عليه شكاواهم كشواظ النار ، لا يسعه بعد ذلك إلاَّ أن يؤمن جمهرة غفيرة من الخلق تعيش فى قبضة كابوس يجب أن ينقشع لتسفر الحياة عن وجه جديد . أستمع إلى ذلك بقلب مثقل بالغم ، وبرغم ما أقر به من اجتهاد الصادقين وما أنجزوا من إصلاحات كثيرة وشاملة ، فإننى لا أتوقف عن التفكير فى أمور هامة وعاجلة مثل :

١ ـ استكمال حرية الشعب واحترام حقوقه ، ليخوض معركة حياته معتزًا بكرامته ، معتمدًا على ذاته ، متحملاً لمسئوليته . وكخطوة أولى علينا أن نبدأ بإلغاء قيود تكوين الأحزاب لنرفع الوصاية عن أهم حق سياسى للجماعات ، فلابد أن يساند الإصلاح السياسى الإصلاح الاقتصادي ، لأن الطائر لايستطيع أن يطير بجناح واحد .

٢ ـ تحصيل المال العام ، وخاصة الضرائب ، وإجراء إحصاء شامل للممولين ، ومطاردة المتهربين ، وهنا يجب أن نعترف بما تبذل مصلحة الضرائب من همة محسوسة ، كما يجب أن ننوه باتخاذها أسلوباً جديدًا فى المعاملة يجمع بين احترام الناس والحرص على المصلحة العامة .

٣ ـ تقديس العمل واحترام الوقت والنظام ، والتركيز على الإنتاج ، مع تشجيع المجتهدين والضرب على أيدى المهملين والكسالى ، والتسامح اليوم يُعَدُّ امتدادًا للتسيب ، ومشاركة فى التخريب .

٤ ـ الدعوة لسياسة عامة للتقشف تناسب حال دولة مثقلة بالديون متعثرة فى السداد ، على أن يبدأ التقشف بالدولة ، ثم ينتشر بين القادرين ، وأن يشمل الغذاء واللباس والحفلات والمهرجانات وكافة مظاهر البذخ .

٥ ـ العناية الفائقة بالتصدير ولو على أساس الحرمان من طيبات كثيرة، فهو فى النهاية سبيلنا الكريم إلى تحديد ديوننا كما أنه العامل الأول فى الارتقاء بالإنتاج بالأساليب العلمية الحديثة .

وثمة أمور كثيرة يمكن أن نفكر فيها ، ولكننا يجب أن نبدأ وبعزم جديد .

(١٤ نوفمبر ١٩٩١)

ما تعدنا به الأعوام

كانت مناسبة بدء عام جديد فى ولاية الرئيس حسنى مبارك فرصة لإحصاء الإنجازات فى عهده ، وهى إنجازات حقيقية كثيرة ومتنوعة فى الداخل والخارج تجسد جهدًا بشريًا فائقًا لو تم فى أى أمة بادئة نهضتها لَغَيَّرَ من حالها تغييرًا ملموسًا ، ودفع بها إلى مشارف التقدم والتطور ، لكنها للأسف الشديد انطلقت من الصفر ، أو مما هو تحت الصفر، انطلقت فى أمة أنهكتها الحروب المتلاحقة فتردَّت هياكلها الأساسية إلى الحضيض ، وتوقفت تنميتها وهى فى أشد الحاجة إليها ، وران عليها اليأس والسلبية والتضخم ، وآفات التعصب ، والمخدرات ، والبطالة ، وأنانية الانتهازيين ، وطُوقت بالطرق المسدودة ، ماذا فعلنا بأنفسنا؟ . . وكيف هانت علينا الحياة إلى تلك الدرجة ؟ . . ولكن ما جدوى العودة إلى أحاديث الماضى وأحزانه . وخطاياه ؟

حسبنا أننا عرفنا الداء الذى نعانى من عواقبه ومضاعفاته . وأننا عرفنا طريق الخلاص مهما يكن من طوله ووعورته . عرفنا وآمنا بقيمة العمل حتى ولو لم نبذل فى سبيله ما ينبغى أن يبذل ، عرفنا معنى الإنتاج وضرورته بالرغم من أننا مازلنا نتردد فى تقويم قطاعنا العام وتشجيع قطاعنا الخاص ، عرفنا الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان ، وحكمة

الركون إلى الشعب وبعث فاعليته حتى ونحن نتهيب الإقدام على الخطوات الحاسمة لكسر القيود وإطلاق الحريات .

عرفنا معنى العدل وسيادة القانون وإن لم نستجب بعد لمطالب رجال العدالة المشروعة ، ولم نتخل بعد عن تقاليدنا الذميمة فى الوساطة والتحيز للقادرين . نأمل عند استقبال العام الجديد القادم لولاية الرئيس أن يثرى جانب الخير بالإنجازات الرائعة ، وأن يتقهقر جانب الشر برجاله وتقاليده وأساليبه البائدة .

(٢١ نوفمبر ١٩٩١)

نحو نظام أفضل

شهدنا فى حياتنا المعاصرة استهانة غريبة بالقوانين ، استهانة تبلغ مرحلة التجاهل فى أحايين كثيرة ، مما يشيع الفوضى ويهز هيبة الدولة من جذورها . بعض القوانين لاتنفذ علناً ، ولا يعنى أحد بتنفيذها ويلمس ذلك كل ذى عين أو أُذن ، وهى وضعت أصلاً لتنظيم العلاقات وضبط الطريق ، وتقويم النظام وآداب السلوك ، وجرت العادة أنه عند سَنِّ أى قانون جديد يهل على الناس فى موجةٍ عالية من الحماس تناسب الظروف التى أدت إلى إصداره ، فيتابع الناس ذلك بتحفظ ، وفى يقينهم أنها موجة عابرة لا تلبث أن تهدأ وتتراخى ثم تتلاشى ويعود كل شىء إلى أصله ، وبمرور الأيام ننسى التمثيلية ، ويلح الداء من جديد ، وتتردد الشكاوى ، فيقترح قومٌ مّا قانوناً للعلاج ، وهم لايعلمون أنه مسنون قائم ، ولكنه غارق فى النوم والإهمال .

كيف نبعث الحياة فى القوانين ؟ وكيف نضمن لها الدوام ؟

لعله من الضرورى إنشاء جهاز خاص لمراقبة تنفيذ القوانين ، وهو لن ينقذنا بأعباء جديدة ، فما أكثر الموظفين العاطلين ، وتنشأ على مثاله فروع فى المحافظات ، وتكون مهمته مراقبة تنفيذ القوانين التى سُنَّتْ أصلاً لخدمة الجماهير وتخفيف معاناتها ، مثل قوانين المرور والنظافة

والتلوث والتموين والضوضاء ، ويكون من سلطانه تنبيه الجهات المسئولة أو رفع الأمر إلى من بيده محاسبتها .

حقًّا إن الضمان الأساسى لاحترام القانون ينبع من داخل الفرد ، ولكنه لا يضيع تلقائيًّا كأفعال الغرائز ، ولكنه يحتاج إلى تربية متواصلة ، وقدوة شائعة ، وتوجيه فى البيت والمدرسة ، ولكن حتى يتحقق لنا ذلك ويصبح من عادتنا اليومية فلا مفر من الرقابة الساهرة والحزم اليقظ ، دفاعاً عن كرامة الشعب وهيبة الدولة .

(١٩ مارس ١٩٩٢)

نشاركم الأحزان

وقعت حادثة العتبة الخضراء فتناولتها الأقلام ، ودارت حولها الأحاديث ، فعرف من لم يكن يعرف معلومات جديدة عمّا يجرى فى مجتمعنا . إنها ليست من حوادث الاغتصاب التى نطالعها فى الصحف كثيراً فى هذه الأيام ، ولكنها من حوادث هتك الأعراض التى تقع كل يوم فى الأماكن المزدحمة والأوتوبيسات المكتظة ولا يعلم بها أحد سوى من يشاهدونها ، ويغضّون الطرف عنها وهم فى غاية من الأسى والمرارة ، وما عرفت حادثة العتبة الخضراء إلاَّ لما طرأ عليها من مضاعفات لم تكن فى الحسبان ، كسقوط الفتاة على الأرض وصراخها ، ومبادرة أمين الشرطة إلى نجدتها بإطلاق النار والقبض على اثنين من المتهمين ، وقد دل ذلك على أن الأمن لم يكن غائباً ، كما دلت معاونة الجمهور فى القبض على المتهمين على أن الجمهور لم يكن خالياً من الإيجابية ، ولا أنسى هذا مروءة السيدة الشعبية التى خلعت جلبابها لتستر به الفتاة الملقاة على الملقاة على الأرض شبه عارية .

لولا تلك المضاعفات لمرت الحادثة بدون أن يدرى بها أحد ، كما يقع كثيراً داخل الأتوبيسات ، وعلى المحطات المزدحمة ، حيث يوجد الشبان المكبوتون والمرضى للاحتكاك بالنساء وهتك الأعراض بكل حيلة وبكل سبيل. إنها مشكلة يمكن تتبع جذورها فى مشكلات أخرى سياسية

واقتصادية واجتماعية ، كما يمكن التركيز على صورتها الأخيرة ، كما تتجلى فى أزمة الشباب المترنح بين البطالة السافرة والمقنعة ، والمرتبات العاجزة عن تحقيق ذاته فى حياة معقولة ، ها هو يهيم على وجهه فى الأماكن المزدحمة ليشبع غرائزه بالطرق غير المشروعة ، والتى قد تؤدى به إلى السجن أو المشنقة .

إن الخلاص منه لن يكون إلا بالإصلاح الشامل ونجاح التنمية الشاملة ، ولن يتم ذلك إلا على مدى طويل .

ولكن يوجد أيضاً ما يمكن عمله على المدى القصير السريع ، مثل وضع الأماكن المزدحمة تحت رقابة أمنية مستمرة ، وتخصيص أماكن للنساء فى الأوتوبيسات ، وتشديد العقوبات لا تحقيقاً للعدل ولكن دفاعاً عن النفس ، ودعوة الرجال ـ رجال الدين وعلم النفس والاجتماع ـ لإيجاد حلول مناسبة لعلاج الكبت الجنسى لشباب قضت ظروفه السيئة بتأجيل زواجه إلى مشارف الكهولة .

وختاماً أقدم عزائى للجميع ... فكلهم ضحايا زمن وظروف قاسية .

(٩ أبريل ١٩٩٢)

وليد جديد فى حضن الديمقراطية

أيدت محكمة الأحزاب بمجلس الدولة تأسيس الحزب العربى الديمقراطى الناصرى ، وجاء فى حيثيات الحكم أن الحزب استهل برامجه بأنَّ هدفه الرئيسى هو إنشاء الدولة العربية الموحدة ، وأن ذلك لن يتحقق إلاَّ بالطريق الديمقراطى ، كما أنه يرفض العنف والصراع الدموى .

إن تأسيس أى حزب جديد حَدَثٌ يسر له المؤمنون بالديمقراطية والمتطلعون إلى استكمال أبعادها وتحقيق مثلها ، ولكن لعله يوجد لديهم أكثر من سبب للترحيب بهذا الحزب الجديد خاصة ، فهو بغير شك يوسع القاعدة الديمقراطية والتعددية الحزبية ، وهو حزب حقيقى ، بمعنى أنه لم يدخل الحياة السياسية بمجرد مجموعة من المبادىء النظرية ، ولكنه يدخلها بقاعدة شعبية ربما لا يبلغ حجمها ما يتصوره الناصريون عنها ، ولكنها لاتتلاشى فى العدم كما يتصور أعداؤها ، والحق أننا نصادف هنا وهناك شباباً ناصريًا متحمسًا برغم كل ما يمكن أن يُقال ، بالإضافة إلى ذلك فقد صحح الحزب الجديد اعوجاجاً فى الحياة الحزبية ، إذْ لم يكن من المنطق أن تُمثل جميع الأجنحة بأحزاب ويُحرم من ذلك من ينتسبون إلى رجل الثورة الأول ، والذى انبعثت من انتصاراته

وهزائمه ، وإيجابياته وسلبياته ، أكثر الرؤى السياسية التى جاءت بعده .

وقد قام برنامج الحزب المعلن على مُروءة وتطور محمودين ، فاعتماده على الديمقراطية نصر له ولها ، وآية على تفاعله مع العصر ، ويقال مثل ذلك على إدانته للعنف والصراع الدموى .

حقًّا إننا نرحب بالحزب الجديد ، ونرجو أن يسهم فى إطار النشاط الحزبى المشروع فى بعث صحوة سياسية وبث روح إيجابية تدفع بالوطن إلى الصراع السياسى المشروع ، وتعاون على حل مشكلاته .

(٢٨ مايو ١٩٩٢)

حلم

من حقى أن أحلم ، وقد يكون حلم اليوم واقع الغد ، وهذا الحلم ليس جديدًا ، فقد سبق أن أعلنته كرأى فى حوار بمجلة «المصور» الغراء عام ١٩٨٨ على ما أذكر ، ولعَلّى لم أعد أتذكر الترتيب الذى عرضته به ، ولكن المضمون أهم من الشكل ، مع الاعتذار مقدماً عن أى خيانة للذاكرة .

الآن إليكم عناصر الحلم أو الرأى :

أولاً ـ تلغى جميع القوانين الاستثنائية ، وتُطلق حرية تكوين الأحزاب بدون قيد أو شرط .

ثانياً ـ تؤلف لجنة ممثلة لجميع الأحزاب والهيئات لوضع مشروع دستور جديد يجرى عليه الاستفتاء فى حينه .

ثالثاً ـ يكلف الجيش ـ إضافة إلى واجبه فى الدفاع عن الوطن ـ بوظيفة لاتقل خطورة عن ذلك ، وهى حماية الدستور من العبث، ضماناً للحرية الداخلية ، وتداول السلطة تبعاً لمشيئة الشعب الحرة .

رابعاً ـ يستقل رئيس الجمهورية عن جميع الأحزاب ، ويكون من أهم صلاحياته حماية الدستور ، باعتباره رمز الالتقاء بين الشعب والجيش .

خامساً ـ يكون الانتخاب بالنسبية ، بمعنى أن تعتبر الجمهورية

دائرة واحدة ، وتحدد المقاعد لكل حزب بحسب الأصوات التى حصل عليها . وهى أسلم طريقة لايهدر فيها صوت واحد ، كما أنها أصلح وسيلة لحماية الأقليات .

سادساً ـ تعطى الأحزاب فرصة للدفاع عن مبادئها ، وتُمنح فرصة متساوية بالتليفزيون .

سابعاً ـ فى أثناء ذلك تستمر الإدارة المصرية فى تنفيذ التنمية الشاملة ، ويتحمل مسئولية ذلك من يعينه رئيس الجمهورية لتلك المهمة .

(٢٠ يونيو ١٩٩٢)

إلـى الحكماء

الوساطة لايصح أن تتوقف ، وإذا أباها أحد الطرفين لأسباب تتعلق بمسئوليته العامة فيجب أن تستمر مع الطرف الآخر ، والسعى للخير لا يقبل التجميد أو التأجيل ، ولا يحتاج لاستئذان ، فهو واجب الفضلاء نحو دينهم ودنياهم ، وما حفزهم إلى السعى الطيب إلاَّ ما يشغل المخلصين من أبناء هذا الوطن من هموم محزنة ، كسفك الدماء ، وخراب العمران ، وهز الاستقرار ، ولا عذر لمن يتراجع عن فعل الخير وهو قادر عليه لمكر سيىء أو إغراق فى خصومة لاتُقَدِّرُ العواقب .

فلجنة الحكماء التى تجمع بين نخبة من رموز الإسلام الحقيقى تحمل فى هذا الظرف الذى نعيشه مسئولية كبيرة ، وهم أقدر الناس على مخاطبة الطرف الآخر ، وأبعد عن الشبهات وسوء الظن ، وأعلمهم بمضمون الخلافات منذ القدم، ما يعقل منها ومالا يعقل ، وأول ما يجب الاتفاق عليه هو الكف عن العنف ، وإعلان ذلك كى تتخذ اللجنة الموقرة من هذا الإعلان وسيلة مقنعة للتوجه إلى الطرف الأول .

إن المجتمع السليم يتسع لجميع الآراء بشتى درجاتها من الاعتدال والتطرف ، ولكن الجدل فيه يقوم على الحوار والعقل ، واحترام حقوق الإنسان ، ولا يهدم بنيانه السليم إلا العنف أو الإرهاب ، وهو ملعون من أى جهة أتى ، رسمية كانت أو أهلية .

إذن يجب أن يستمر رموز الإسلام الحقيقى فى سعيهم ، وألاَّ يعدلوا عن هدفهم مهما يعترضهم من عقبات ، ولن يكون سعيهم موضع سؤال مخلص ، بل لعل السؤال هو : لماذا تأخر المسعى كل ذلك الوقت ؟ .

(١٧ يونيو ١٩٩٢)

أيام الوحدة الوطنية الصامدة

شد ما تغيرت الظروف والأحوال ، وهى تتحول كل يوم من حال إلى حال ، لعله لم يبق من جيلنا إلاّ الآحاد ، أو على الأكثر عشرات . تراجعت قيم وتقدمت قيم ، تلاشت أحلام وترعرعت آمال . حق لنا أن نراقب الدنيا من بعيد ، وأن نتابعها فى هدوء مستعينين بضبط النفس والإيواء فى ملاذ الحكمة ، ولكن عندما يطالعنا يوم ٢٣ أغسطس فى الأيام فنذكر بعمق وحنان الزعيمين الخالدين سعد زغلول ومصطفى النحاس ، نرجع فى نزهة عارضة إلى الزمان الأول ، ويقتحمنا الماضى فينتزعنا من هموم الحاضر بقوة لاتُقاوَم ورغبة لاتُنازَع.

نرجع إلى ذكرى الرجلين اللذين عرفنا فى رحابهما حقًّا وصدقاً بأننا مصدر السلطات ، وأننا فوق الحكومة ، وأننا نجىء بالحكام من الشارع لنوليهم السلطة . نرجع إلى أيام الوحدة الوطنية الصلبة الصامدة المتحدية لمكر الماكرين وضربات الخانقين . نرجع إلى أيام كنا ندعى فيها إلى الاجتماع بالزعيم وهو رئيس للوزراء ليسمع رأى الطلبة فى أزمة نشبت بينه وبين الملك ، أو بينه وبين الإنجليز . نرجع إلى زمن الهتاف وهو ينتشر كالأغانى مشيدًا بحياة الوطن والحرية والدستور ، وسقوط الاحتلال والاستبداد . نرجع إلى ذكريات الخلاف فى الرأى إبَّان احتدامه فى البرلمان والصحف مشتعلة بالصدق والبلاغة والتربية الوطنية . نرجع

إلى متابعة آثار ذلك كله فى نفس العامل والفلاح والطالب والموظف ، فما منهم إلاَّ مُنتَم متحمس ، وليس بينهم صامت ، والكل يعمل فى ظل دستور مرموق ، وقضاء مقدس ، ودولة ذات مهابة ، وشعب حريص على النضال .

يا زعيميَّ الرَّاحِلَيْن : كان المظنون أنكما أصبحتما تاريخًا طيب السمعة، وأن رسالتكما قد انتهت بعد أن أدت ما عليها ، ولكن العالم فاجأنا بأعاجيب جديدة ، فأصدر أقسى حكم عرفه الزمن على الاستبداد والقهر ، ودعا بكل قوة للحرية واحترام حقوق الإنسان ـ بما فيها العدالة الاجتماعية . هكذا عادت مَبادِئُكما هدفاً وغاية ، وأملاً لكل من يناضل اليوم أو يتطلع إلى غد أفضل .

يا زعيمى الجليلين : قد يلتقى الشتيتان بعدما يظنان كل الظن ألاَّ تلاقيا .

(٢ أغسطس ١٩٩٢)

يحيى حقى

لا أظن أننى عرفت يحيى حقى قبل قراءة «قنديل أم هاشم» ، وكانت قراءتى لها اكتشافات لعالم حى من الفن والجمال ، كما كانت اكتشافاً لعملاق من عمالقة الأدب ، وفى الحال أضفته إلى مجمع الخالدين الذى كنت من تلاميذه ومريديه ، الذى تكوَّن من طه حسين ، والعقاد ، والمازنى ، وهيكل ، وتوفيق الحكيم . شد ما أمتعنى قنديل أم هاشم بأسلوبه ، ورؤيته ، وأنغامه ، ورحت أسأل عن مؤلفه ، فأعلم أنه من رجال السلك السياسى ، وأنه يعمل خارج القُطر ، وعلمت فى الوقت نفسه أنه كان أحد أركان مدرسة القصة القصيرة المصرية التى قدمت تجاربها قبل ذلك بأعوام ، وكان من رجالها محمود تيمور ، وحسين فوزى . . وللأسف الشديد أننى لم أكن بدأت قراءتى الأدبية حين كانوا يكتبون، فعندما بدأت كانوا قد كفوا عن كتابتهم وتفرقوا فى مختلف الأعمال ، فلم أعرف منهم إلا محمود تيمور الذى لم ينقطع عن الإبداع طيلة حياته ، ولم تشغله عنه الشواغل .

وأصبح فرضاً علىَّ أن أقرأ جميع ما يكتبه يحيى حقى فى المجلات والصحف والكتب أزداد به معرفة وتذوقاً ، وأنبهر بسحره الخاص وعبيره الأنيق ، وكنا نعتبره مُقِلاً بلا اختلاف على قيمته ، ولكن إذا وضعنا فى الميزان مقالاته فعلينا أن نعتبره فى مقدمة الكتاب غزارة أيضًا ، والحق أنه

كان مدرسة فى القصة القصيرة ، تشهد له إنجازاته بالتفوق والعمق واللمسات العبقرية ، كما تشهد مقالاته بثقافته الواسعة ، ونظراته النقدية النافذة ، فضلاً عن ذلك الأسلوب الفريد فى وضوحه ودقته وجماله .

وتشاء الظروف أن يعمل يحيى حقى فى مصر ، وأن يُخْتار مديرًا لمصلحة الفنون ، وأن يقع الاختيار على الأستاذ المرحوم على أحمد باكثير وأنا للعمل معه ، هكذا أتم الزمان دورته ، ووجدت نفسى فى مصلحة واحدة ، وتحت رئاسة الرجل الذى طال شوقى إلى لقائه وسؤالى عنه .

ومنذ ذلك الوقت نشأت بيننا علاقة صداقة حميمة ومودَّة عظيمة ، وعرفت الإنسان بعد أن بهرنى الفنان ، واتصل بيننا الحوار يوماً بعد يوم ، فعرفنا ما نتفق فيه وما نختلف ، وكنا فى جميع الأحوال مثالاً للموضوعية والنزاهة الفكرية ، ولم يكن مفر من أن أعرف مع الفنان والإنسان ذلك الساخر ، ذا الدعابة الجادة ، وصاحب الروح الفكهة ، والنكتة البارعة، والتعليقات التى لا تُنْسَى . . فليتغمدك الله برحمته أيها الفنان المبدع والإنسان الكريم .

(١٣ ديسمبر ١٩٩٢)

القارىء والكاتب

ليس التعريف الصحيح للكاتب بأنه الذى يكتب ، ولكن الأصح أن تقول إنه الذى يقرأ ، وطالما أنه لم يصل إلى قرائه بعد ، فهو مشروع كاتب ليس إلاَّ ، مهما يكن رأيه فى نفسه ، أو رأى أصدقائه فيه . وإذا اعترف به النقاد قبل أن يلتفت إليه أحد من القراء فاعترافهم اجتهاد وتنبؤ ، ولكنه لا يصبح كاتباً حتى يهبه قراؤه شهادة الوجود ، وأعرف أنه قد يوجد من الكُتَّاب من يسبق زمانه كما يقولون ويتأخر الإقبال عليه ، غير أنه يظل مشروعاً حتى يجىء الزمان بقرائه فيمنحوه شهادة الوجود الحقيقى .

والحق أنه ما من كاتب إلاَّ ويكتب للجمهور ما يهتدى إليه بفطرته، وقول البعض إنه لا يهتم بالجمهور قول غير صحيح وغير أخلاقى . والأدب كغيره وظيفة اجتماعية لها أهميتها ، لأنها رسالة موجهة للجمهور. وقد يقول كاتب : أنا أكتب إرضاءً لذاتى أولاً وأخيرًا ، وترجمتها فى تصورى : أنا أكتب لجمهورٍ مّا من خلال إرضاء ذاتي أولاً ، لاسعيًا للجمهور بأى ثمن .

وعلى كل كاتب أن يقدم خير ما عنده بخير ما يملك من قُدرة وإتقان ، وأن يهتم بالإيصال اهتمامه بالتعبير ، دون تضحية بقيمة من قيم الفن والإبداع ، وتبعًا لسعيه واجتهاده يصل إلى الجمهور المقسوم

له، ويكون ذلك الجمهور بنوعيته ومستواه دليلاً صادقاً على نوعية الكاتب ومستواه .

من الكُتَّاب من يُرضى الخاصة ، ومنهم من يرضى العاديين ، ومنهم من يرضى الخاصة والعاديين معًا . وفى جميع هذه الأحوال فالجمهور هو الذى يعطى شهادة الوجود للكاتب ، وهو الذى يحدد قيمته .

(١٤ أبريل ١٩٩٤)

اللص الشريف

هو أسطورة شعبية تدور حول بطل شعبى تخلقه الحقيقة والخيال ، مثل روبن هود ، وأدهم الشرقاوى ، وهو على مستوى الواقع لص وقاطع وقاتل أيضاً ، غير أنه يختار ضحاياه من بين الأغنياء والمنتمين إلى الجاه والسلطان ، ويشرك فى مغانمه وأسلابه الفقراء والمساكين ، وقد وُجِدَ عادة فى عهود الظلم والسلام والقهر ، حين يستبد الحُكام بالناس ويستهينون بالأرواح ، وينهبون بشتى الوسائل المشروعة وغير المشروعة الأموال والأملاك ، من أجل ذلك يغفر الناس له خطاياه ، ويؤثرونه بالحب والولاء ، ويتسترون عليه أينما كان ، فإن يكن لصًّا فهو يسرق الذين يسرقونهم ، وإنْ يكن قاتلاً فهو يقتل من يعبثون بأرواحهم، وفى النهاية فهو لايضن عليهم بخير ، وإذا انتهى إلى مصيره المحتوم فقُبض عليه وأُعدم بكاه الباكون وحزنوا عليه من أعماق قلوبهم ، ورثوه بالمواويل التى يرددونها جيلاً بعد جيل ، وهذا بخلاف اللص العادى والقاتل العادى وقاطع الطريق العادى ، فإنهم يبوءون بالاحتقار والكراهية، ويعاون الأهالى الشرطة فى القبض عليهم أو محاصرتهم .

ثم يجىء مع الزمن أبطال الشعب الحقيقيون ممثلين فى زعمائه الوطنيين والاجتماعيين ، فيقودونه بالقدوة الصالحة ، والشجاعة النادرة ، والقيم السامية ، نحو الأفضل من السلوك والحياة . وحتى فى تلك الحال فإن

عامة الشعب لاتنسى بطلها القديم ، اللص الشريف ، بطل الزمن الرديء والقهر المرير .

(١٦ يونيو ١٩٩٤)

التغيير المراد

الحياة تتغير ، هى انتشار ونمو ، وانتقال من حال إلى حال ، نقيض ذلك هو الموت ، فهو الجمود المطلق ، غير أن التغيير ليس من قبيل عشق الوجوه الجديدة ، وقد يكون فى تبديل الوجوه أو بعضها خسارة لا شك فيها ، أو جحود للجد والاجتهاد والسلوك الطيب ، ولكن الحياة الجديرة بهذا الاسم تتطلب تغييرًا متواصلا فى الرؤية والهدف والوسيلة ، كما تقتضى مرونة فى الأداء والتكيف والتجربة ، بمعنى آخر يجب ألاّ نجرى وراء تغيير الوزراء ، إذ أن الذى يهمنا هو تغيير الحياة .

أصبحنا نتلهف على أن تصل ثمرة الإصلاح الاقتصادى إلى الرجل العادى ، إلى المواطن المطحون، إلى سكان المناطق العشوائية ، كى يسترد مجتمعنا صحته وعافيته وبسمته التاريخية .

ويرى كثيرون ـ ونرى معهم ـ أن الإصلاح السياسى طال توقفه ، واكتنفته الاستثناءات من كل جانب ، وأن مصر العريقة الطيبة تستحق دستورًا جديدًا ، وحقوقاً جديدة ، وسلطات شعبية هى جديرة بها كل الجدارة .

وإننا فى أشد الحاجة إلى وثبة فى الإنتاج نقضى بها على البطالة ، ونبعث الآمال فى حياة الشباب .

كما نحتاج إلى همة مضاعفة لتطويق الفساد والمفسدين ، وإعادة القانون إلى عرشه .

ونتلهف كثيرًا إلى سياسة رشيدة تعالج بنظرتها الشاملة الإرهاب ، وترجع الضالين إلى حظيرة الرشاد والدين الحق .

حقًّا نحن نتطلع إلى التغيير ، ولكنه تغيير الحياة لا تغيير الوجوه .

(٢ يونيو ١٩٩٢)

تحت مستوى الفقر

عند مناقشة الموازنة العامة والخطة الخمسية استشهد الأستاذ خالد محيى الدين رئيس حزب التجمع بتقرير هيئة عالمية ورد فيه أن ٤٠٪ من المصريين يعيشون تحت مستوى الفقر ، وهى حال يتعذر تصور تعاستها فى نواحى المسكن ، والمأكل ، والملبس ، والحرمان من الخدمات الصحية والتعليمية والثقافية ، بل عدم وجود الصرف الصحى أو توافر الماء النقى ، هى حال تعيسة حقًّا ، تفسر ما نقرأ أحياناً من إحصائيات صحية عن الأنيميا وانتشارها بين الأطفال .

ما كان يجب أن توجد مثل تلك الإحصائية بعد قيام ثورة اجتماعية بأربعين عاماً ، ثورة ما قامت إلاَّ احتجاجاً على الفقر والجهل والمرض ، وبعد ما نُفِّذَ من مشروعات زراعية وصناعية ، ومن إصلاح زراعى ، وتأميم صناعى وتجارى ، كان المتوقع أن تتقارب الدخول ، وتذوب الطبقات ، وأن يتوافر حد أدنى من المعيشة لجماهير الشعب ، وأن يُحاصَرَ الفقرُ بمعناه التقليدى ، ويُمْحَى من الوجود ما يسمى «بتحت مستوى الفقر» .

ماذا جرى فوق أرض مصر حتى وصلنا إلى هذه النهاية غير المتوقعة ؟

لا مفر من الرجوع إلى ذكريات أسيفة :

ذكرى تذكرنا للديمقراطية ، وتكريسنا للدكتاتورية وتوابعها من سلوكيات العسف والقهر والاستهتار بحقوق الإنسان .

وذكرى الحروب التى استدعيناها أو انسقنا إليها بالقرارات المتسرعة الفردية ، وما جلبت علينا من نكسات وخراب فى الأموال والأخلاق ، وذكرى الفساد الذى عشش فى إداراتنا وخططنا ، فخلق للانتهازية عالماً ثريًّا ، وللشعب جحيماً ومعاناة .

وذكرى أخطاء الانفتاح التى زادت الانتهازية ثراءً وعددًا ، وضاعفت من معاناة الفقر .

إحصائية أليمة وذكريات أليمة ، ولكن يبقى لنا اجتهاد المخلصين وإرادة أنصار الحضارة والحرية ، ومهما يكن من أمر فلا يجوز أن ينضب لنا أمل .

(٢٤ يونيو ١٩٩٢)

حول حرية الرأى

الحرية ثمرة جهاد الأحرار ، لا تجىء نتيجة لوجود المجتمع الحر ، ولكنها هى التى تخلق المجتمع الحر ، وهى تخلقه من خلال جهادٍ مُرٍّ دَامٍ، لم يَكُفَّ قديماً وحديثاً عن تقديم الشهداء والضحايا ، وهل أطلت علىَّ الحضارة الأفكار الجديدة المتحدية إلاَّ فى عصور الظلام ومحاكم التفتيش ؟ وهل كان التفكير الحر إلاَّ صنو التعرض للهلاك المبين ؟ فلا خوف على الحرية ما وُجد المفكرون الأحرار ، ولاخوف على الحرية طالما حمل المفكرون أمانتهم وأدوا واجبهم ولم يرهبهم المصير .

ولا عذر لصامت أو متراجع أو متردد اعتلالاً بفساد المناخ ، وسطوة التقاليد ، وتشدد القوانين ، وتمادى الإرهاب ، فقد يوجد هذا وأكثر منه، وقد يؤيد بالخرافات من كل نوع ، ولا بأس من النقد لكل انحراف، والحملة على كل سلبية ، ومهاجمة الرجعية فى مظانها جميعًا ، لا بأس من ذلك ، بل يجب ألاَّ نسكت عنه ولا نتهاون فيه ، ونعتبره من أهدافنا التى لا نحيد عنها ، هذا مطلوب ، بل هذا واجب ، ولكنه لايعنى أن نؤجل التفكير الحر أو نتراخى عنه أو نضن عليه بالتضحية الواجبة . . المجتمع يتحرر لا بتغيير قوانينه وتقاليده،ولكن قوانينه وتقاليده تتغير بالتفكير الحر ، وبفضل مفكريه الأحرار .

ولا تقدم فى العلم أو الفلسفة أو الفن بغير الفكر الحر . . الفكر

الحر بمعناه الصادق ، أى الذى يسعى بكل سبيل نحو الحقيقة لخير البشرية وتقدمها ، ولن نقف أمام الأفكار المنحرفة التى تفتعل الإثارة أو التجارة أو لفت النظر ، وهذه لاتحتاج إلى قوانين تَرْدَعُهَا ، بل إلى أفكار صحيحة ترد عليها وتكشف زيفها .

خلاصة القول : إن مجتمعنا فى حاجة إلى الحرية ، وتحقيق مطلبه بيدنا برغم كل شىء .

(١ يوليو ١٩٩٢)

المواطن القادم

كيف نتصور المواطن العادى كما ينبغى له أن يكون ؟ كيف نتصوره دون إغراق فى المثالية أو إفراط فى الحلم ؟ كيف نتصوره مواطناً عاديًّا يمكن أن يتكرر فى الملايين من شباب الأمة ؟

لعل تكوينه يبدأ فى الأسرة ، أو هذا ما يجب ، ولكنى سأتخطى تلك المرحلة ، التى يؤدى فيها الحظ والمصادفة أكبر دور ، لنتخطاها لنبدأ بالمدرسة وبمرحلة من أخطر مراحلها ، وهى مرحلة التعليم العام .

فى تلك المرحلة يتلقى المواطن الصغير أول معارفه الحديثة ، وهذا أمر هام وأساس من أسس تكوينه العقلى ، ولكن التربية فى تلك المرحلة تتساوى فى أهميتها مع التعليم ، وتزيد هنا تشكيل عناصر الشخصية من مبادىء الدين الصحيحة ، والمبادىء الوطنية ، وهنا يكتسب المواطن الصغير الذوق الفنى ، وعشق الثقافة ، وتكشف مواهبه الكامنة . هنا يُعايش المثل العليا والقدوات العظيمة ، ويصادق أعظم الرجال والنساء فى تاريخه وعصره ، وبذلك يتم البناء من جميع أبعاده الدينية والسياسية والأخلاقية والفنية والفكرية ، ويصبح لحياته معنى وهدف ومثال فى صحبة أعظم الأفكار وأنبل العواطف .

إن رجال التربية يعرفون معنى ما أقول خير المعرفة ، ويعلمون ولاشك أن مدارسنا كانت تيسره لأبنائنا فى الماضى لدرجة محمودة ، وأنها

تستطيع أن تعيد التجربة بأسلوب أفضل مستفيدة من تجارب السابقين فى هذا المجال .

ولكيلا تتوقف عملية التكوين والبناء عند التعليم العام ، لكى تستمر طيلة العمر وتنمو مع الزمن ، فيجب أن تكملها الإذاعة (المسموعة والمرئية) وأن تتناغم معها فى وحدة ثقافية متكاملة .

نريد أُمة من الأصحاء بدناً وعقلاً وذوقاً وخُلُقاً وعقيدةً كى تُتاح لنا حضارة تحظى بتلك الصفات الإنسانية الرفيعة .

(٨ يونيو ١٩٩٢)

مدرسة الوفد

فى دنيا السياسة نعاصر القادة ونتعلم منهم ، وقد عاصرت رهطاً من الزعماء وهبنى كل منهم من فيضه نَفْحةً أو أكثر ، وليس اليوم بالفرصة المناسبة للحديث عنهم جميعًا ، ولكنه مناسبة تاريخية للحديث عن اثنين جليلين منهم ، هما سعد زغلول ومصطفى النحاس ، والرجلان يتلاقيان بمزايا ويتفردان بمزايا ، ولكنهما يكونان معًا مدرسة وطنية سياسية واحدة ، فيها نَشَأْتُ ، وفى تاريخ كفاحها ترعرعتُ ونضجتُ ، ومن رمزيها عرفتُ القدوة فى كل نبيل وطيب فى الحياة .

ولعله من المفيد أن أفضى إليك ببعض ما تعلمته فى تلك المدرسة ـ مدرسة الوفد الخالدة :

١ ـ فيها تشرب قلبى بحب مصر وأهلها وأرضها وجوها وتراثها وحاضرها ومستقبلها .

٢ ـ وفيها آمنتُ من الأعماق بوحدتها الوطنية ،وبأن أقباطها ومسلميها شعب واحد ، وعنصر واحد ، وماضٍ واحد ، وحاضر واحد، ومصدر واحد .

٣ ـ وفيها عشقنا الاستقلال وجعلناه جل أمانينا ، ولم نتردد فى التضحية بأى غالٍ فى سبيله .

٤ ـ وفيها آمنا بالشعب وبحقه كمصدر للسلطات يولى الحكام ويعزلهم ، وبين هذا وذاك يرقبهم ويحاسبهم ، ولا كرامة لشعب إنْ مس حقه ذاك .

٥ ـ وفيها تألفت قيم الفكر الحر ، وتدفقت منه ينابيع الأدب والفن .

٦ ـ وفيها تحمسنا لنشاط الرأسمالية الوطنية ونشاطها الشريف المشروع .

٧ ـ وفيها ازدهر إيماننا الدينى ازدهارًا يقوم على حب الله والناس والتفتح لحضارات البشر .

٨ ـ وفيها شاهدنا أول ممارسة للعدالة الاجتماعية فى معاملة الفلاحين والعمال وذوى الدخل المحدود .

٩ ـ وفيها تولد ذلك الحب الصافى العميق بين الشعب وزعيميه ، وهو حب لم يُعرف إلا فى سير العشاق والصوفية .

وأخيراً . . . :

اذكروا ذكرنا عهدكم ... رُبَّ ذكرى قربت مَنْ نَزَحَا

واذكروا صبا إذا غنى بكم ... شَرِبَ الدمعَ وعافَ القَدحَا

(١٩ أغسطس ١٩٩٢)

الطوفان من جديد

إنه عالم واحد برغم خلافاته وتناقضاته واختلاف درجاته ، فهو عالم واحد عن طريق وسائل الاتصال ، تتحاور أجناسه وأُممه ، ومشكلاته وآماله وآلامه ، لا يَخْفَى على أحد من أبنائه تَقَدُّمُ المواقع المتقدمة منه بقوة تثير الذهول ، ولا تَأَخُّر المواقع المتأخرة منه بدرجة تثير الأَسَى ، لذلك يحق للمتفائل أن يتفاءل ، كما قد يعذر المتشائم إذا تشاءم ، أما الحياة فتمضى فى طريقها لا تحول بصرها عن أهداف الفوز والنصر .

ونحن نذكر كثيرًا الظلم والبغى والعدوان والأنانية ، وكان علينا أن نذكر أيضًا المعونات والقروض ، وإهداء الخبرات والمعارف ، والدفاع عن حقوق الإنسان بالقلب واللسان واليد أحياناً .

ولكن على العالم الثالث أن يؤمن بأن دوره أكبر من مجرد الانتظار ومد اليد واستجداء أهل العلم والخبرة .

إنه يملك أكثر من الأعداد البشرية والمواد الأولية . لقد أثبت أنه قادر على التضحية والفداء ، فهو يملك الإرادة والمثل الأعلى ، ويسنده تراث يقدس القيم والعلم والعمل . عليه أن يؤجج فى روحه أسمى ما يمتلك لينطلق بعدها فى طريق الحياة اللانهائى .

وعليه أن يعلم أنه يعيش فى عصر طوفان جديد ، وأنه لن ينجو فى السفينة إلا المُزَوَّد بالإيمان والعلم والعمل ، المصمم على تعمير الوجود . والويل للمتخلفين .

(١١ ديسمبر ١٩٩٣)

عن الثقافة

ما أسمعه عن حال الثقافة لا يسر ، وهو يُقال ويؤكد بما يشبه الإجماع ، وتريد هذه الأقوال أن تنطبق على الأدب والمسرح والسينما والموسيقى ، فحق لى أن أصدق ما يقال ، وأن أتساءل عن أسباب ذلك : هل توجد أسباب تبرر التدهور الثقافى ؟

تذكرت حال التعليم فى الفترة الطويلة الماضية ، لم يعد لدينا المدرسة اللائقة ، ولا المدرس اللائق ، واكتظت الفصول بالتلاميذ ، واختفت التربية أو كادت ، فلا مكتبة ، ولا مجلة ، ولا أنشطة كاشفة للمواهب . لم نعد نهيىء الجو الصالح لاكتشاف المبدعين من ناحية ، وتدريب المثقفين من ناحية أخرى . ضربنا الإبداع والتذوق فخلت الساحة من الرونق والبهاء وتهاوت إلى الجفاف ، ومن أجل ذلك فنحن نتابع أنباء ثورة التعليم بكل اهتمام ورجاء .

تذكرت أيضاً سطوة «التليفزيون» واستحواذه على العقول والأفئدة ، إنه يقتنص العديد من جمهور الكتاب ليضيفهم إلى الملايين من جمهوره ، كما يقتنص الكثيرين من الكُتَّاب فيتحولون من الأدب إلى خدمة جهازه الساحر ، مستمتعين بما يهب من شُهرة ومال . وطبعًا نحن لا ننكر إنجازات «التليفزيون» وخدماته ، ولكننا لا نستطيع أن نتجاهل أثره على الفن العميق كذلك .

وتذكرت أيضاً إساءات الأزمة الاقتصادية، والبطالة ، والأفكار المتطرفة ، فهى جميعًا تناصب الثقافة العداء .

الصورة كما نرى كالحة ، ولكنها لاتدعو إلى اليأس ، إنها مرتبطة بخطط التنمية الشاملة وبالتحديات التى تواجهنا . وعلينا أن نصبر على الكرب قليلاً ، ولكن الحياة الجديدة آتية لا ريب فيها .

(٣٠ ديسمبر ١٩٩٣)

عهد جديد

إن حكم المحكمة الدستورية ليس حلقة لأسلوب انتخابى معين فحسب ، ولكنه فى الواقع إدانة تاريخية للانتهازية السياسية ، ودعوة صريحة حاسمة لاحترام الدستور ، وإرساء لدعامة الاستقرار وسيادة القانون وهيبة الدولة ، وقد هيأ فرصة نادرة لكل ذى بصيرة لإعادة النظر فى حياتنا السياسية وتنقيتها من السلبيات والشوائب ، وبناء أساس جديد للديمقراطية والشرعية ، والتلاحم الفعال مع الواقع ، والتصدى للمشكلات الاقتصادية والاجتماعية بالشجاعة الواجبة والعزيمة الصادقة .

حذار أن نقنع بتصحيح قانون الانتخاب لنعود مرة أخرى إلى نظام جامد يعمل قليلاً ويتكلم كثيرًا ، فى غمار أغلبية لا مبالية من الصامتين، وجماعة من المتربصين المستهترين بالقانون .

الآن الفرصة مُهَيَّأَة للرئيس ليعتصم بالرياسة وحدها ويتخلى عن وَضْعِه الحزبى ، ليضع صلاحياته فى خدمة من يفوز بثقة الجماهير ، ويكون الرمز الثالث للإرادة الشعبية ، والحامى للدستور.

الآن الفرصة مناسبة لإلغاء القوانين الاستثنائية ، واحترام حقوق الإنسان فيما يتعلق بقانون الأحزاب دون وصاية أحد .

الآن يجب أن نقدس حرية الانتخاب ، وأن نوفر لها مختلف الضمانات الضرورية لنسمع صوت الشعب الذى حُرِمَ من إعلانه دهرًا طويلاً .

لا أقول إن ذلك يهبنا مفتاحاً سحريًّا لحل المشكلات وتخطى العقبات، ولكنه يهيىء أفضل جو للعمل وحَمْل الأمانة والرقابة والمشاركة الشعبية .

يجب أن نتغير ، وأن ننفض عن أنْفُسنا الخوف والكسل ، يجب أن نواجه الشدة ـ لا بتواكل الشدة ولا بتواكل العبيد ـ ولكن بشجاعة الرجال .

(١٤ يونيو ١٩٩٠)

مطاردة الأشباح

نتابع مبادرة رئيسنا حسنى مبارك عن أسلحة الدمار الشامل بما تستحقه من اهتمام كبير . . هى مبادرة وطنية عربية وإنسانية فى آنٍ ، ولذلك فهى تحظى بالتأييد ، ولم يبق إلا أن تسفر عن نتيجة تضاهيها فى الأهمية لتطرد عن منطقة مهمة من العالم أشباح الخوف والتوتر ، وتهيىء له جوًّا أفضل للتفاهم والتصالح .

إن ما يهدد العالم كَكُلٍّ يجب أن يتصدى له العالم ككل ، إنه التزام عالمى ، وعلى كل دولة أن تؤدى واجبها فيه فى حدود طاقتها بدون تردد أو مُرَاوَغَة . يجب أن يكون للعالم موقف موحد متعاون إزاء التلوث ، والمخدرات، وأسلحة الدمار الشامل ، مِمَّا يتجاوز ضرره الوطن الواحد أو البيئة الواحدة . . وحتى لا تخضع القرارات فى هذا الشأن للأهواء السياسية يجب أن تُدرس فى هيئة الأمم ، وتصدر بشأنها القرارات الجماعية التى تلتزم الأمم بتنفيذها ، سواء كانت مقاطعة شاملة ، أو تأديباً ماديًّا ، وأن يتم ذلك فى استقامة ووضوح ينفى عنه شبهة الغرض، ونزعة الهوى .

لا نريد أن يتكرر ماحدث عند قيام شبهة سلاح دمار شامل ، فيلقى مرة ضربة وقائية ، ويلقى أخرى إعفاءً وتسامحًا . الواجب أن يكون للعالم موقفٌ واحدٌ إزاء أى دولة تشرع فى امتلاك ذلك السلاح . يجب أن

يكون الأمر واضحاً ورادعاً وأن يتم فى نطاق إنسانى عادل ، وإلاَّ كان وجهًا جديدًا للاستعمار والقهر ، بعيدًا عن أىَّ جدية لِلتَّصَدِّى للشرور الشاملة التى تهدد الإنسان حضارة ووجودًا .

إذا لم تُعالج القضية بالحَسم فسوف يجد العالم نفسه مندفعًا اندفاعاً مخزياً نحو دمار شامل . هيهات أن تتهاون أمة فى الدفاع عن نفسها ، أو ترضى بأن تعيش تحت رحمة غيرها .

(٥ يوليو ١٩٩٠)

الانتخــاب

نرجو أن يسفر البحث عن قانون للانتخاب محكم الشرعية والبناء ، ونأمل في الوقت نفسه أن يجيء ضمن إصلاح سياسى شامل يهيىء مناخاً صالحًا للحرية والعمل . . لعله من المناسب الآن أن أعود إلى إعلان رأى قديم أبديته أكثر من مرة عن الانتخاب بالقائمة الشعبية ، وكنت أتصوره فى غاية من البساطة والفاعلية ، على أساس أن يجرى الإدلاء بالأصوات فى الدوائر المختلفة للأحزاب المتناقضة ، ثم تُجمع الأصوات التى يفوز بها كل حزب ، وبنسبتها تُحدد مقاعده فى مجلس الشعب بدون قيود ، وعلى كل حزب بعد ذلك أن يختار نوابه بالانتخاب الداخلى ، أو بأى وسيلة يتفق عليها .

هذا الأسلوب الانتخابى يحقق الآتى :

أولاً : ألاَّ يهدر صوت ناخب واحد ، فيجيء المجلس ممثلاً للناخبين تمثيلاً عادلاً دقيقاً .

ثانياً : أنه يربى الشعب على الاختيار على أساس المبادىء لا الأفراد أو الأسر أو القبائل ، فيمثل المجلس المصالح العامة .

ثالثاً : أنه بانتخاب الشعب للأحزاب ، واختيار الأحزاب للنواب نضمن أفضل نوعية للعمل .

رابعاً : أن الانتخاب بهذا الأسلوب يحترم الأقليات ويقوى مركزها ، ونحن نعيش زمناً يطالبنا بقدرٍ ملموس من الوعى السياسى ربما لايتوافر دائماً على المستوى المنشود ، ولكن لنذكر أن الحرية جهاد وتربية ودروس لا تتوقف ، ولا بأس من تقبل بعض العثرات فى طريق الصعود الشاق .

(١٢ يوليو ١٩٩٠)

أسلوب الانتخاب

حسن أن يتقرر إجراء الانتخابات لمجلس الشورى بالأسلوب الفردى، فهى خطوة تقدمية يجب أن تتبع فى أى انتخابات ، ولكن ذلك لا يمنعنى من المصارحة بأننى من أنصار الانتخابات النسبية ، وأننى كنت أول من نادى بها فى عهد الزعيم الراحل السادات . ومما يجب أن يُذكر أن القائمة المطلقة لم تخطر لى على بال وقت ذاك ، ولا الحد الأدنى المتعسف ، كان ما دار بخاطرى هو اعتبار الوطن دائرة واحدة ، فيدلى الناخب بصوته لحزب مّا ، ثم يختار كل حزب ممثليه تبعاً لما يحرزه من أصوات . . ولهذا الأسلوب ميزات أوجزها فيما يأتى :

١ ـ أنه يستبعد المستقلين ، فإنى لا أتصور وجود مواطن مستقل فى زحمة الآراء والمذاهب المطروحة ، وإنْ رَأَى فَرْدٌ بعد ذلك المحافظة على استقلاله لسبب من الأسباب فعليه أن يبتعد عن الحياة السياسية العملية ويتركها للقادرين على تحمل تبعاتها بوضوح ، بعيدًا عن أى تحفظ أو انتهازية .

٢ ـ أنه لا يُهْدَرُ صوت مواطن ولا يُضَيَّعُ مهما صغر حجم الرأى الذى ينتمى إليه ، فيجىء أى مجلس معبرًا عن واقع الشعب أقوى تعبير وأكمله .

٣ ـ أنه يربى المواطن تربية وطنية ديمقراطية على المدى القصير والطويل ، ويوقظ فيه نوازع الانتماء إلى المبدأ قبل الفرد ، علماً بأن الفرد لا يختفى فيه تماماً ، فهو الذى يقوم بالدعاية لحزبه فى دائرته أو أى دائرة .

٤ ـ أنه يضمن اختيار خير العناصر بواسطة كل حزب ، فكأنه انتخاب على درجتين : الأولى للمبادىء ، ويفصل فيها الشعب ، والثانية للكفاءة والجدية ، ويقوم بها الحزب بالطريقة التى يرتئيها .

ولعل أهم ما يُؤخذ على هذا الأسلوب أنه قد يدفع بأكثر من حزبين إلى المجلس ، أو أنه لا يُمَكِّن حزبًا من الأغلبية الساحقة ، ولكن علينا أن نقبل أى صورة للمجلس مادام الشعب هو مصدرها ومصورها ، والشعب أدرى بما يصلحه ويلبى احتياجاته .

(١٩ يوليو ١٩٩٠)

ذكريات انتخابية

للانتخابات ذكريات فى تاريخنا ، وأى ذكريات ، وهى تشهد للشعب بعمق الوطنية وقوة الانتماء ويقظة الوعى ، وتدل على أن للشعوب غرائزَ تهتدى بنورها ، حتى وإن استغرقتها الأمية ، وقد حدثوك عن رئيس الوزراء الذى أجرى أول انتخابات فى عصرنا الحديث فسقط فيها وفاز عليه رجل من عامة الشعب ، وفى دائرة أخرى اختارت الجماهير ذات الأغلبية المسلمة الساحقة مرشحًا قبطيًّا لم يكن من أبناء الدائرة ، ولا صلة له خاصة بأحد من أبنائها ، ولكن زكّاه وقَدَّمه مبدؤه وحزبه وسيرته الوطنية العامة .

وكان فى دائرتنا بالعباسية يتنافس رجلان، أما أحدهما فهو «باشا» عادى ممن حصلوا على الرتبة بحكم الأقدمية والترقية دون ميزة شخصية من عِلْم أو كفاءة ، ولكنه عُرِفَ بوطنيته وشعبيته وجهاده ، وأما الآخر فمن باشوات مصر المعدودين علمًا وخبرة وسياسة ، ولكنه عُرف بالانتماء إلى الملك والترفع على الشعب ، وتساوى الاثنان فى بنوتهما للعباسية ، واختار الشعب الرجل الذى ينتمى إليه ، وتخطى الجهبذ الآخر حتى خسر تأمينه . ونؤكد بذلك أن الشعب يعرف كيف يختار مَنْ يمثله مع بساطته لا من يمثل الملك على مزاياه الكبيرة .

وقد كان مما يأخذه الأعداء علينا أننا فضلنا رجلاً عاديًّا على عالم ، ولكن يجب أن نفرق بين انتخابات للمجمع أو الأكاديمية وأخرى سياسية تدور أولاً وأخيرًا حول المبادىء لا الأشخاص . وكم من معارك خاضها الشعب فى أوقات الانتخابات ، وكم من أذًى وعَنَتٍ وضُرٍّ حاق به لإصراره على احترام مبدئه . وقد حفظ سجل وطنيتنا من شهداء الديمقراطية مثلما حفظ من شهداء الاستقلال ، ولاشك أن أرواحهم تحوم حولنا فى هذه الأيام لتطمئن إلى أن تضحياتها لم تضع سُدًى ، أو تتلاشى فى العبث . . هدى الله شعبنا إلى اختيار الأجدر بالثقة والأصلح للبقاء .

(٢٦ يوليو ١٩٩٠)

من السلبية إلى الإيجابية

مما يدل على اهتمام المواطن بحياته الاجتماعية حرصه على بطاقته الانتخابية ، وهى آية على إدراكه لدوره فى اختيار حُكامه وانتمائه إلى المبادىء التى يرغب فى أن تسود مجتمعه ، فكيف نفسر ظاهرة الإعراض عن التسجيل فى الجداول الانتخابية ، أو امتناع كثرة من المسجلين عن أداء واجبهم الانتخابى ؟

قد يفسر ذلك بضعف الوعى ، وربما وجدنا فى انتشار الأمية تعليلاً مشجعًا ، ولكن هذا التفسير غير مقبول ، بدليل أن المتعلمين فى مقدمة اللامبالين ،فضلا عن أن تجربتنا الديمقراطية قد انفعلت بها طبقاتنا الشعبية ، وكثيراً ما مارستها بصدق محمود .

وقد تُفسر بالإحباط الذى تختنق به أعداد وفيرة من الشباب ، ولكن ذلك الإحباط نفسه عادة ما يكون من أسباب النشاط السياسى، والتوجه نحو المبادىء الواعدة بحل المشكلات .

إذن فلنبحث عَمّا يخلق مناخاً صالحاً للنشاط السياسى والمشاركة الإيجابية ، فماذا فى وسع الدولة أن تقدمه فى هذا الشأن ؟

أولاً : يجب أن يؤمن المواطن بأن لصوته وزناً لايهدر، وأنه يستطيع حقًّا أن يسهم فى اختيار نوابه وحكومته ، فنزاهة الانتخابات وضمان هذه

النزاهة وتحصينها ضد جميع الشبهات هى الشرط الأول لجدية العمل .

ثانياً : إطلاق حرية تكوين الأحزاب بدون قيد أو شرط ، كى تتبلور جميع الرؤى أمام المواطنين ، فيتجه كُلٌّ إلى حيث توجهه مصالحه ومبادئه .

ثالثاً : أن يؤدى «التليفزيون» دوره القومى فى خَلْق الإيجابية السياسية ، فهو قادر على إحلال أى موضوع فى بؤرة الاهتمام وغرسه فى الوجدان ـ كما يفعل ذلك فى دعواته الصحية ـ فيضع برنامجاً يوميًّا للنشاط السياسى الحزبى ليثير اهتمامًا كبيرًا بالأحزاب والمبادىء ، وليجعل من رجال السياسة نجومًا ، لا من أجل ذواتهم ، ولكن باعتبار ذلك المدخل ، للاهتمام بأهدافهم ، وبث الوعى السياسى .

بذلك نهيىء مناخًا صالحًا للعمل . ولا أشك فى أن شعبنا يحوز الاستعداد الكامن للتجاوب مع السياسة الصالحة .

(٦ ديسمبر ١٩٩٠)

حول الانتخابات الأخيرة

ماذا يمكن أن يقال عن آخر انتخابات جرت فى بلادنا ؟

أولاً : شهد جميع المشتركين فيها بموقف الأمن المحايد النزيه ، وإذن فقد أنجزت الدولة ما وعدت به ، ونرجو أن تكون تلك بداية شريفة حاسمة لحياتنا النيابية تصبح بها الدولة قدوة لرجالها وللمواطنين جميعًا .

ثانياً : دارت المعركة بين الحزب الوطنى من ناحية ، والتجمع والأحزاب الجديدة والمستقلين من ناحية أخرى ، على حين قد قاطعها الوفد والعمل والأحرار من الأحزاب القانونية ، ولم تشترك فيها التيارات التى لم يُعترف بها بعد ، وذاك يجعل خريطتنا السياسية موزعة بين المجلس الجديد والشارع والأوكار الخفية ، مما يدعو إلى إعادة النظر والتأمل لإتاحة الفرص لاشتراك الجميع فى العمل السياسى المشروع ، توفيرًا للمزيد من التماسك والاستقرار .

ثالثاً : لم يكن جميع المستقلين بالمستقلين تماماً ، فمنهم وطنيون ووفديون وعمال وأحرار منشقون ، وهؤلاء إذا انشقوا على أحزابهم لاختلاف فى رأى لا يستطيعون الخروج على مبادئها. المنتظر أن يعود الوطنيون إلى حزبهم ، وأن يكون الآخرون معارضة لا بأس بها .

رابعًا : جرت المعركة على النظام الفردى . . والنظام الفردى لا

يتعارض مع الحزبية ، ففى الماضى كان يدخل الفرد المعركة مدعومًا بحزبه ، ومتحدثًا باسمه ، ومستظلاً بمبادئه ، فكانت حزبية فردية . أما هذه المعركة فقد غلبت فيها الفردية على الحزبية ، والوعود الشخصية على المبادىء السياسية ، وأدَّت الجدارة العائلية والعصبية دورًا بارزًا ساق إلى العنف ، وتحدى النزاهة أحياناً ، وكل أولئك يُعَدُّ خطوة إلى الوراء فى تاريخنا الديمقراطى .

خامسًا : كان من الملاحظ والمؤلم ندرة المرشحين من الأقباط والنساء، والحق أننا لايمكن أن نعفى حزب الأغلبية من مسئوليته عن ذلك ، وقد أسفر ذلك عن جرح لن يندمل حتى بعد تعيين الأعضاء العشرة .

سادسًا : وضح أن عدد الناخبين كان أقل من المأمول بكثير ، وقد تصورنا لذلك علاجًا شرحناه فى وجهة نظر مستقلة ، فلا نعود إليه ، وعلى أى حال يستطيع أى نائب فى المجلس الجديد أن يؤدى واجبه على أكمل وجه ، فيحقق آمال من انتخبوه ، ويقنع السلبيين بالخروج من سلبيتهم .

وإن شاء الله نخوض فى المرة القادمة معركة لاتشوبها شائبة .

(١٣ ديسمبر ١٩٩٠)

المستقلـون

الحق أننى سيىء الظن بوصف « المستقل » لأى عامل فى الحقل السياسى، ولعل ذلك قد رسب فى نفسى من موروثات ماضينا السياسى، فقد احتمى به قوم ترفعًا عن الجهاد وما يقتضيه من تضحيات أو تعرض للهجمات الجدلية الدائمة ، والمادية فى أحيان كثيرة . . ولاذ به آخرون عن طمع ، ليُؤَمِّنُوا مصالحهم لدى جميع من يتولى السلطة ، واصطنعه فريق ثالث عن انتهازية ماكرة ، وهم الذين رشحوا أنفسهم للوزارات الإدارية التى كانت تتولى الحكم لإجراء انتخابات حرة إذا اقتضت الظروف النادرة إجراء انتخابات حرة .

والاستقلال عن الأحزاب بمعنى عدم الالتزام بأوامرها ونواهيها ممكن، خاصة إذا أراد المستقل أن يحتفظ بقدر من حريته بعيدًا عن العمل الفعلى فى الحياة السياسية العملية ، وهو بهذا المعنى ضرورة للمفكرين والمؤرخين ، ولكن هذا لا يعنى بحال الاستقلال عن المبادىء والرؤى السياسية ، إذ أنه من العسير أن يجد الإنسان نفسه بين تعددية حزبية جامعة ، ولا يعرف لنفسه ميلاً إلى حزب من الأحزاب ـ ولو على سبيل الترجيح ـ ولا يشذ عن ذلك إلا من حرم نعمة التفكير والإحساس بالواجب الاجتماعى العام .

لذلك فعلى المستقلين الذين فازوا فى مجلس الشعب الأخير أن يختاروا ما يناسب مبادئهم إذا سمح القانون بذلك ، ولا أظن الناخبين اختاروهم إلاَّ تأثرًا بوعود لا تتحقق كاملة إلا تحت جناح حزب من الأحزاب ، ولديهم حزبان قائمان ، هما الوطنى والتجمع ، ويمكنهم بقرار من أنفسهم أن يعلنوا انتماءهم للوفد أو العمل أو الأحرار بدون اعتراف من أحزابهم الأصلية ، أو أن ينشئوا حزباً جديدًا، وهو مالا يتناقض مع الطبيعة البشرية طالما أن منطلقه الصدق والإخلاص ، فهم خرجوا على الالتزام الحزبى ، ولكنهم لا يملكون العمل بلا مبادىء ولا رؤية سياسية كيفما تكون .

هذا خير من أن يبقوا بؤرة لاطعم لها ولا رائحة ، أو أن ينساقوا مع الزمن إلى الاتجار باستقلالهم فى بورصة الصراع الحزبى .

(٢٠ ديسمبر ١٩٩٠)

معركة مصر

ألف يوم لتحرير الاقتصاد ، لعل الأصح أن نقول : إنها آخر مهلة تُكَرَّسُ لتحرير الاقتصاد ، وإلا فماذا كانت تستهدف الخطط الخمسية السابقة ، بل الأصح من هذا وذاك أن نعتبرها دعوة للتحرير الشامل ، التحرير من جميع القيود والمعوقات فى الحياة السياسية ، وأسلوب العمل، ورؤية الأخلاق ، ومنهج الثقافة ، والتفكير . . أجل ، نريد تحريرًا كاملاً ، شد ما نتوق إليه . . تحريرًا من الفساد والسلبية ، والبيروقراطية، والقوانين الاستثنائية ، والأوثان الكاذبة ، والشعارات الخاوية . . تحريرًا من كل سوء ، وانطلاقاً ثابتًا نحو إعادة البناء وتحدى الزمن .

وقد جدت ظروف تهيىء للعمل مناخاً أفضل .

بعضها نتيجة لتطورات عالمية وجهت العالم ـ برغم التوترات الطارئة ـ نحو الحرية والتعاون .

وبعضها ثمرة لسياستنا الحكيمة ومواقفنا النبيلة ، فتخففنا لدرجة لأيستهان بها من وطأة الديون وأعبائها ، كما أصبحنا فى مركز أفضل لاستقبال الاستثمارات العربية والأجنبية .

ولكن تقلص الضغوط يجب أن يكون الدافع لحشد الجهود وشحذ

العزائم للعمل الجاد والشعور بالمسئولية والانضباط الكامل والتخطيط المستنير .

يجب أن نمهد الأرض للاستثمار ، وأن نمحق العوائق ، وأن ننشر الأمن والأمان والثقة فى ظل سيادة القانون .

يجب أن ننظم العمل ونهيىء له الرقابة الساهرة والمراجعة الدائمة ، وأن نكافىء المحسن ونعاقب المسىء .

يجب ألاَّ نتهاون فى مطاردة الفساد ، وألاَّ تأخذنا الرحمة بالمفسدين ، فالوطن أولى برحمة الراحمين .

يجب أن تشمل الوثبة الإصلاحية السياسة والاقتصاد معًا ، فهما وجهان لعملة واحدة .

يجب أن نعيد النظر فى قوانيننا التى ران عليها التعقيد والتضخم ، وأن يمنح القضاء كامل استقلاله .

يجب أن نختار أفضل المتاح لنا من الرجال ، على أساس الكفاءة والنزاهة ، فهو المقياس الحقيقى ، وما عداه لا أهمية له .

يجب أن ننشىء جهازًا للمتابعة وتقييم الأداء .

يجب أن نحتشد جميعًا لإعادة البناء ، إنها معركة مصر من أجل النهضة الشاملة .

(١٠ يناير ١٩٩١)

المثقفـون

يحدثونك أحياناً عن المثقفين كأنهم فئة مستقلة عن بقية الجماعات، ويتساءلون عن موقفهم من هذا الأمر أو ذلك ، أو مسئوليتهم عن هذا الحدث أو ذاك .

الحق أنه لاتوجد فئة للثقافة قائمة بذاتها ، ولا توجد كلية أو معهد لتخريج المثقفين ، بل نستطيع القول بأنه لا يخلو فرد فى المجتمع من ثقافة بالمعنى العام لهذه الكلمة ، وأن المسألة وما فيها أننا نخص بوصف الثقافة من يبلغ درجة عالية من المعرفة بالتيارات الفكرية والسياسية والعلمية والفنية ، بحيث يملك وعيًا بروح العصر ، وقدرة على اتخاذ موقف منه ، ورؤية له . والمثقفون بهذا المعنى يوجدون فى جميع الأحزاب والهيئات والمهن ، ولذلك فليس للمثقفين رأى واحد ولا موقف واحد ولا رؤية واحدة ، ولكنهم يختلفون فيما بينهم كما يختلف الناس جميعًا ، ويتفق على فريق مع رأى الجماعة التى ينتمى إليها ، فثمة مثقفون يساريون ويمينيون ومعتدلون ، وبذلك فلا معنى لأن نسأل عن رأى المثقفين كأنهم فئة مستقلة بذاتها ، ولا يستثنى من ذلك الكُتَّاب والأدباء، فهم تتوزعهم الجماعات المختلفة ، وحتى من يحتفظ باستقلاله الرسمى منهم فهو لابد أن ينتمى فى داخله إلى جماعة ، أرادَ أم لم يُرِدْ ، إذ أن الاستقلال التام فى تلك الحال ضرب من المحال .

وفى تعاملهم مع المبادىء يجرى عليهم ما يجرى على الناس جميعًا ، منهم الصادقون ، ولو أَدَّوْا فى سبيل صدقهم ضريبة الدم أو النفى أو الإهمال والفقر ، ومنهم الانتهازيون الذين يبيعون أنفسهم طمعًا فى الوظيفة أو المال ، ومهما ادعى الشخص أو لبس من أقنعة فالحوادث تكشفه وتاريخه يفضحه .

وكان ينبغى أن يكون للمثقفين أثرهم الفعال فى كل موقع يشغلونه يتناسب مع وعيهم ، ولكن ذلك لايتاح عادة إلاَّ فى مناخ الحرية والديمقراطية ، ولذلك كان من رذائل الاستبداد تحجيم دور المثقفين وعزلهم ، أو إفسادهم بشراء ضمائرهم ، إلاَّ القلة الصامدة التى تتعرض عادة للاضطهاد ، وقد لمسنا ذلك كله فى بلادنا ، وبَلَوْنَا عواقبه ، ومازلنا نجاهد للتخلص من آثاره السيئة بعد أن استقر بنا المقام فوق أرض ديمقراطية نرجو لها المزيد من القوة والتقدم .

(١٧ يناير ١٩٩١)

الأحـــزاب

تدل الحياة اليومية على وجود التيارات السياسية الآتية :

١ ـ تيار يجمع بين الديمقراطية والاشتراكية ، ويمثله الحزب الوطنى الديمقراطى .

٢ ـ تيار يقوم أساسًا على الديمقراطية ولايرى بأسًا من تبنى بعض الإنجازات الاشتراكية، ويمثله الوفد .

٣ ـ تيار يسارى ، ويمثله التجمع والناصريون وجناح من حزب العمل .

٤ ـ تيار إسلامى معتدل ، ويمثله الإخوان ونخبة من المفكرين الإسلاميين المستنيرين .

٥ ـ تيار الجماعات المتطرفة المتسم بالتطرف والعنف .

هذه هى التيارات التى يصادفها الإنسان فى تجواله ، أو تتناقل أنباءها المطبوعاتُ والرواة ، وهى بالتالى التى يمكن أن تكون أحزاباً إذا أطلقت حرية تكوين الأحزاب واحترمت حقوق الإنسان السياسية ، ويمكن فى الوقت نفسه أن تجد لها قواعد شعبية متفاوتة فى قوتها واتساعها .

والواقع يتطلب ـ والمصلحة العامة تقتضى أيضاً ـ أن يندمج الحزب

الوطنى الديمقراطى ، والوفد ، والأحرار فى حزب واحد ، كما يندمج التجمع والناصريون وجناح العمل فى حزب واحد ، فتصبح الأحزاب الحقيقية كالآتى :

١ ـ حزب يجمع الوفدوالوطنى والأحرار .

٢ ـ حزب يجمع التجمع والناصريين وجناح العمل .

٣ ـ الإخوان .

٤ ـ الجماعات .

ولا يعنى قيام حزب دينى نفى التدين عن الأحزاب الأخرى ، فالحكومة القائمة تؤسس تشريعها على الشريعة ، وتخصص وزارة للشئون الدينية ، وتعنى عناية كبرى بالتربية الدينية فى مدارسها وأجهزة إعلامها ، فضلاً عن أنها الحارس للوحدة الوطنية والعدالة الاجتماعية .

ولن يتهيأ لنا الاستقرار الكامل الدائم حتى تقوم تلك الأحزاب وتمارس نشاطها المشروع من خلال الشعب تحت مظلة الحرية والقانون واحترام حقوق الإنسان .

وكل شىء ممكن إذا تخطينا ذكريات التاريخ والكبرياء الشخصية ، ورفعنا ألوية المصلحة العامة .

المعركة آتية ، ومن الخير أن تقع فى نطاق الحرية والقانون، ولنقبل إرادة الشعب كيفما تكون .

(٢٥ أبريل ١٩٩١)

ثورة يولية وعام ٩١

فى عام ١٩٥٢ قامت ثورة يولية . أقبلت مجلجلة فى كبرياء وطنى ، وهالة من وعود العدالة والعزة والنزاهة والقوة والديمقراطية ، واستقبلهاالشعب استقبال من طال انتظاره للعدالة والعزة والنزاهة والقوة والديمقراطية . وفى ظلها عاش يحلم بالمدينة الفاضلة والمجد والرخاء ، وشهد إنجازات ضخمة فى حياته المعنوية والمادية ، وطموحاته السياسية على المستويين المحلى والعالمى .

وفى عام ١٩٩١ كان المتوقع أن تكون المدينة الفاضلة قد استوت حقيقة رائعة فوق الأرض ، والمجد قد رسخت قوائمه ، والرخاء قد جرى كالنسيم فى اليوم الرطيب ، والحرية تضىء كشعاع الشمس ، والعدالة تستقر كالهرم الأكبر .

كيف لا وقد خلصت مصر لأبنائها ، فلا احتلال أجنبى ، ولا عَدُوّ متربص ، ولا امتياز لطبقة ، إنه حكم مصرى خالص ، وطنى نقى ، والعقول متيقظة ، والأيدى متوثبة ، والقلوب خفاقة ، والنوايا طيبة ، ووراء ذلك كله طاقة من التخطيط والعمل .

ولكن الواقع أن عام ١٩٩١ هو العام الذى يشهد جهادًا عنيفاً من قادتنا لتخفيف وطأة الديون التى أغرقتنا ، كما يشهد أولى خطوات نبدأ بها السير فى الطريق الصخيح للخروج من أزمة شاملة خانقة .

لن أعيد رواية المأساة ، ولن أعدد الأخطاء ، ولن أذكر الكوارث والهزائم ، ولا التسيب والفساد ، فكل أولئك محفوظ محفور فى حنايا القلوب الأسيفة .

أود أن أركز على مضمون واحد .

لقد قامت هذه الأرض بثورتين : ثورة الحرية ، وثورة العدالة الاجتماعية . وما حصل قد حصل . ولكن علينا ألاَّ نهدر رسالة الثورتين . فلنبدأ من جديد بعزيمة جديدة ، على هدى دروس ومواعظ ، ولنعمل بدون توان .

لقد خاننا لصوص ومجانين وسفلة ، ولكن فينا بقية من الأمناء والعقلاء وأهل النبل .

لنعمل ونبنِ حتى نحقق وطن الثورتين ، وطن الحرية والعدالة .

(١٨ يوليو ١٩٩١)

للكابوس نهاية

نرجو أن نكون قد اهتدينا حقًّا إلى الطريق الصحيح . نرجو أن نستيقظ من الكابوس لنستقبل صحوة سليمة مبشرة بالخير .

وقد كان ومازال كابوسًا ثقيلاً .

سل من تشاء من أفراد الشعب عن أى شىء ، فلن تجد إلاَّ جواباً واحدًا ، كلما عرض حادث مِمَّا يعرض فى أى مجتمع كشف عن داء مستأصل ، أو قيمة منهارة . . يندلع حريق فى عمارة فيفضح سلسلة من المخالفات تزرى بالقانون وتستهين بالأمن والأرواح .

يجرى التحقيق فى قضية فتكشف بعض مستنداتها عن فساد بشع يطوق الأئمة من رجال المسئولية والحكم الذين يتاجرون بمصالح الشعب .

وتجىء حادثة فى مجال التربية فتهتك أساليب للغش غير معقولة فى أشرف بقاع الدولة ، وهى الجامعة .

هذه أمثلة ، أما التقصى فأدْهَى وأَمرُّ .

ماذا جرى لمصر ؟ لم تكن قط بهذا القَدْر من السوء . حقًّا لم نكن قومًا مثاليين ، ولكننا لم نكن كذلك عصبة من الأوغاد إلا من رحم ربك كيف نواجه عصرًا يطالب أهله بالكمال فى العلم والعمل والقيم ؟

وما هذه بفطرتنا الأصيلة ، ولكن تعاقب الحروب والأزمة الاقتصادية والتردد بين التجارب الشرقية والغربية ، وتضافر المحن على الذين ندعوهم بذوى الدخل المحدود ، حمّلهم مالا يطيقون ، وانتزعهم من مبادئهم وانتمائهم ، إنهم وغيرهم ضحايا الحكم الشمولى الذى يعنى بالمجتمع ويهمل الفرد ، الحكم الشمولى الذى لا يذكر الفرد إلاَّ وهو يطالبه بالتضحية دون أن يقدم له قدوة هادية ، على حين يتمتع هو بجميع طيبات الحياة بصورة مستفزة لا ضمير لها .

فى وسط هذه الظلمات نرجو أن نكون قد اهتدينا حقًّا إلى الطريق الصحيح ، نرجو أن نستعيد توازننا ولو بعد حين ، نرجو أن تسترد مصر صحتها وعافيتها وترجع إلى الإيمان بالعلم والعمل والقيم ، وأن نستمسك بوحدتها الوطنية لتواصل دورها فى بناء الحضارة .

(٢٥ يوليو ١٩٩١)

نحو تربية حديثة

التربية مسئولية عامة خطيرة بما تمثل من عناصر أساسية فى بناء الشخصية الإنسانية ، لذلك يجب أن نهتم بها الاهتمام الواجب فى جميع مراحل التعليم وأجهزة الإعلام لنقيم أساسًا متينًا للفرد ، وقاعدة بشرية جديرة بالحياة فى هذا العصر . ونحن نولى التربية الدينية والقومية ما تستحق من عناية ، ولكن لابد من إضافات أخرى ، تنضم كدراسات حر ة ، أو فى كتب القراءة ، وغير ذلك من وسائل الإيصال الحديثة .

فى مقدمة ذلك التربية الثقافية التى تستهدف خلق المواطن المحب للمعرفة والتفوق ، والجمال فى كافة صوره الفنية والطبيعية ، مما يقتضى نشر المكتبات فى المدارس ، والمجلات ، وفرق التمثيل ، والموسيقى ، والشعر ، والخطابة . ومن الأهمية بمكان عرض تاريخ الحضارات لإيضاح ما قدمه كل شعب للإنسانية من إنجازات روحية ومادية ، وليكون تنوع الحضارات مدخلاً للتفاهم ، وتبادل التقدير بديلاً من الجفوة وسوء الظن .

كذلك يجب أن يلم أبناؤنا بما يتيسر من مبادىء المنهج العلمى ، لا باعتبارها بابَ النجاح للعلم وإنجازاته فحسب ، ولكن أيضاً بوصفها المنهج الصحيح للتفكير السليم ، والضمان لسلامة العقل وصونه من

الانحرافات والآفات التى تخضعه لتسلط الانفعالات والتعصب ، وتحرره من قبضة الخرافات والترهات التى تزيف الحقائق وتوقف التقدم .

وأخيرًا وليس آخِرًا يجب الاهتمام اهتماماً خاصًّا بحقوق الإنسان فى فكره وعقيدته وسلوكه والتعامل معه ، لينشأ الأبناء على احترام أنفسهم ومواطنيهم والناس جميعًا ، وليحظى الفرد عندهم بما يستحق من احترام وتقديس .

إن الاهتمام بتلك القيم هو اهتمام بالإنسان والإنسانية، اهتمام بالعقل والفكر والديمقراطية الحقة كما تجرى فى الحياة اليومية، وفى النهاية الحضارة التى يجب أن نتحضر بها فى العالم الحديث للتكيف معه ، واكتساب القدرة على العيش فيه بنجاح وسعادة وكرامة .

(١ أغسطس ١٩٩١)

اليمين واليسار

اليمين يُطلق على الجماعات التى تحافظ على ماهو قائم فى المجتمع مما يستند فى قوته إلى تقاليد ماضية أو ثورات تجاوزها الزمن فى مجالات السياسة والفكر والفن وأساليب الحياة المختلفة . .

أما اليسار فيطلق على الجماعات التى تتطلع إلى التقدم ، وتتابع حركة التاريخ إلى الجديد الذى يحلمون به .

وقد حدثت تغيرات جذرية على مسرح العالم فى السنوات القريبة الماضية قلبت الأوضاع رأسًا على عقب ، وأجرت حركة إحلال وإبدال بين الجهات الأصلية كما عهدها الناس ، مما يقتضى تغييرًا حاسمًا فى الأسماء والمسميات .

فبعد الزلازل التى اجتاحت عالم اليسار والأنظمة الشمولية ، وبعد التوجه شبه العام نحو الديمقراطية السياسية والاقتصادية والحرية الفردية ، بعد أن أصبحت حركة التاريخ تسير فى اتجاه جديد ، بعد ذلك كله يطالبنا الواقع بإعادة النظر فيما نعتبرهم يمينيين ويساريين .

أصبحت حركة التاريخ تسير نحو غَدٍ واعِدٍ بالديمقراطية والحرية ، واحترام حقوق الإنسان التى تتضمن حقه فى العدالة الاجتماعية .

كذلك أصبح الحكم الشمولى والشيوعية من الثورات التى تجاوزها الزمن ، وأثبتت التجربة فشلها فتمخض حلمها الوردى عن كابوس .

على ذلك الأساس يصح لنا أن نطلق صفة اليسار على الديمقراطيين ، والديمقراطيين الاشتراكيين ، والإسلاميين ، والمعتدلين ، كما يصح أن نطلق صفة اليمين على الشيوعيين القدامى ، والناصريين ، والجماعات المتطرفة .

والمسألة لاتعنى لعبًا بالأسماء والصفات وكأنها تصحيح الرؤية ومتابعة أمينة للواقع ، علماً بأننا لم نقصد بذلك الدعاية لجانب ، أو التهوين من شأن جانب ، فنحن نحترم كل صاحب رأى ، ونرى أن المجتمع لا غنى له عن اليمين واليسار معًا فى مسيرته نحو الغد المأمول .

(١ فبراير ١٩٩٢)

لصوص ولصوص

من الأخبار التى اطلعت عليها فى صحفنا خبر يقول : إن ٩٠٪ من قروض العالم الثالث ترجع إلى البلاد الغنية لتودع فى الحسابات السرية للشخصيات البارزة التى تهيمن على البلاد الفقيرة المدينة التعيسة ، ولعل ذلك الخبر قد تردد أمام ناظرى أكثر من مرة فى أكثر من صحيفة أو مجلة ـ وعلى فترات متباعدة ـ ومنسوباً لمراجع يحلو لها الحديث فى تلك الشئون ، وهو خبر يدير الرأس من غرابته ، ويهز الناس ، ويفجر الرثاء والأسى . وكأنَّ تلك الأوطان لم يكفها ما فعله الاستعمار بها ، وما حَلَّ بها من فقر وتأخر ، فابتلاها بشراذم من أبنائها ممن لا خلاق لهم ولا ضمائر لينهبوها بلا رحمة ، ويستغلوها أسوأ استغلال ، ثم يتركوها كما كانت فقرًا وتأخرًا ، بالإضافة إلى قيود الديون وذلها .

كيف تولى أولئك الأوغاد السلطة فى بلادهم ؟ هل خدعوا شعوبهم فَأَوْلَتْهُمْ ثقة لا يستحقونها ؟ هل فُرِضُوا عليها بالقوة والإرهاب ؟ وكيف خلت قلوبهم من أى شعور وطنى أو إنسانى ؟ كيف غلظت وتحجرت حتى تحالفوا مع سوء الحظ على أوطانهم التعيسة ؟

ويجىء أهرام ٢٠ يناير يطالعنا بخبر مؤداه أن لصين بريطانيين قد أعَادَا أطعمة وملابس سَرَقَاهَا من مخزن فى مقاطعة « يوركشير» بعد أن علما

أنها سوف تُرْسَل إلى بعض الأيتام فى رومانيا . وذكرت مصادر الشرطة أن اللِّصَّيْن تبرعَا بعشرة جنيهات واعتذرا عَمَّا قاما به من عمل مشين .

إنه خبر غريب أيضًا بالمقارنة بالخبر الأول ، ينقض علينا بدهشة لا حدود لها .

حقًّا أن الجميع لصوص ، ولكن شتان بين لص ولص . منهم من فقد مع الذمة كل شعور إنسانى ، وطفح قلبه بالأنانية والنذالة برغم موقعه من السلطة والمسئولية ، ومنهم من لم يمنعهم فقدان الذمة من بعض الرحمة والمروءة والشعور بالانتماء إلى الإنسانية .

فإذا ضن الزمان على بعض بلاد العالم الثالث بحكام أمناء فلا يضن عليهم بِلُصوص من طينة هذين اللصين البريطانيين .

ولنتذكر فى النهاية فضل الديمقراطية فى اختيار الحكام ورقابتهم وعزلهم . ولنتذكر أيضًا أن مآسى النهب والسلب قد تمت جميعًا فى عصور كلها استبداد وظلام .

(١٣ فبراير ١٩٩٢)

حوار الكـوارث

يجب ألاَّ ننسى الكوارث : الطوفان ، والحريق ، وغرق السفينة . يجب ألاَّ ننساها ، لا تمسكاً بالحزن واستزادة من الدموع ، ولكن حتى نعرف الحقيقة الكاملة .

ما أكثر الكلام ، وما أكثر الحكايات ، وجميعها وجدت فى حينها إقبالاً وترحيباً ، إمَّا استجابة من شعب هزته الكوارث من أعماقه ، وفجَّرت فى قلبه ينابيع الحزب والأسَى ، وإمَّا إعراباً عن السخط السياسى ، والموقف الرافض من نظام الحكم ، ولكننا نريد أن نعرف الحقيقة الكاملة ، وجميع الكوارث مُحَالة إلى التحقيق ، وحذار أن تجف الدموع ، وتتلاشى ذكريات السوء ، وتتوارى التحقيقات فى زوايا التاريخ ، نريد الاطلاع على نتائج التحقيقات بكل تفاصيلها ، نريد أن نعرف دور القضاء والقدر فيما حدث ، وأن نحدد فى الوقت نفسه المسئولية البشرية إنْ كان ثمة مسئولية بشرية ، لا نرغب بتاتاً فى أن نظلم أحدًا كبيراً كان أو صغيراً ـ ولكننا أيضاً لا نرغب فى أن نظلم أنفسنا ونهدر حقوق الناس فى الحياة والعدل والكرامة ، وأن يتبع ذلك المحاسبة العادلة ، أو إصلاح اللوائح والإجراءات .

. وما ينبغى أن تهدأ النفوس وتطمئن القلوب قبل أن تعلن نتائج

التحقيقات على الملأ ، وتتحدد المسئوليات ، وتتحقق العدالة ، وأن نسيان الكوارث قبل ذلك لكارثة أخرى لاتقل فى ضخامتها عن أىٍّ من الكوارث الثلاث ، أما السير فى الموضوع حتى نهايته العادلة فلن يخلو من دروس نافعة ، ربما خففت من آلامنا ، وسوغت لنا أن نردد مع القول المأثور : « رب ضارة نافعة » ، وقد ورد فى بيان رئيس الوزراء أمام مجلس الشعب ما يقوى أملنا فى معرفة الحقيقة ، وتحقيق العدل والإصلاح .

بعد ذلك ـ لا قبله ـ يجوز أن ننسى الكوارث فى مجرى الحياة الزاخر بالحوادث، بل يجب أن ننساها ، وألاَّ نسمح للتشاؤم بأن يُلقى ظله الثقيل على أرواحنا . الحياة لا تخلو من كوارث مثل كوارثنا ، بل أشد منها بما لايقاس. يجب أن نوطن أنفسنا على التصدى لكل مكروه بدون أن نيأس من إصلاح أنفسنا وأحوالنا ، ومحق سلبياتنا جميعاً فى البر والبحر والإرادة. إن المصائب لا تقضى إلا على الضعفاء من أنصار الهزيمة ، ولكنها تشحذ هِمَم القادرين والمُقدرين لنعمة الحياة المباركة .

(٢٠ فبراير ١٩٩٢)

الحضارة الغربية

الذين يسيئون الظن بالحضارة الغربية كثيرون ، ويقوم سوء الظن على أسباب يعلنونها لدى كل مناسبة ، فهى فى نظرهم حضارة أجنبية ، وهى فى تعاملها معنا لم تتورع عن ارتكاب الكبائر من الحروب والاستعمار ونهب الموارد وإزهاق الأرواح بغير حساب ، بالإضافة إلى الكثير من تقاليدها وعاداتها التى تتناقض مع قيمنا الثابتة . وأود أن أناقش هذه الرؤية بنزاهة وموضوعية .

وأبدأ فأقول : إن الحضارة الغربية ليست حضارة أجنبية ، أجل قد نشأت فى مواقع غريبة وبين قوم غرباء ، ولكنها من الناحيتين التاريخية ، والواقعية حضارة إنسانية قبل كل شيء ، إنسانية المنشأ ، وإنسانية الهدف ، إنها الثمرة الأخيرة فى شجرة الحضارات السابقة عليها ، مثل الحضارة المصرية ، والآشورية ، والبابلية ، والفارسية ، والإغريقية ، والرومانية ، والإسلامية ، وقد استفادت منها جميعًا وكأنها شركة مساهمة لكل أُمة سابقة أَسْهُمٌ فيها . لا أنكر أنه توجد عناصر محلية فى كل حضارة ترتبط بالبيئة ، وقد تُستنكَر وتُرفَض من بقية البشر ، ولكنها فيما عدا ذلك إنسانية الهدف ، ومشروع موجه للعقول والقلوب جميعًا ، وأهم مَثَل على ذلك العلم وتطبيقاته ، وجانب لا يستهان به من الفكر والفن والسياسة والعلاقات الاجتماعية ، وكل أولئك معروض على البشر

للدراسة والاقتباس ، ثم تجاوز ذلك للهضم والعطاء والإبداع ، مع التمسك بقيمنا الثابتة ، ورفض مالا يندمج فيها .

حقًّا لا يمكن إنكار التاريخ الأسود الذى سجله أصحاب تلك الحضارة معنا : كم سفكوا من دماء ، وعرقلوا من نهضات ، ونهبوا من ثروات ، وأذلوا من كرامات ، ولكن علينا أن نصفى الماضى من سيئاته ، فقد جاهدنا الظالمين حتى تحررنا من قبضتهم ، وبفضل علومهم أنشأنا حياتنا على أسس جديدة ، وبفضل إنجازاتهم الطبية أُنقذت ملايين الأرواح التى كانت تفتك بها الأوبئة كل عام . ولنذكر ما أفدناه من تجاربهم فى زراعتنا وصناعتنا ونُظُم الحكم والمعاملة ، لنذكر ذلك ، فلعله يعيننا على فتح صفحة جديدة مع حضارتهم وتبديد سوء الظن بها .

آن لنا أن نتقبل المصالحة من أجل الحياة اللائقة بهذا العصر . إن حاجتنا إلى الحضارة الحديثة لا تقل عن حاجتنا للتمسك بقيمنا التراثية الخالدة .

(١٦ أبريل ١٩٩٢)

ولادة عسيرة

هل مازالت صورة عالم ما بعد الحرب الباردة محتفظة ببهائها ؟ هل مازالت مُصِرة على الوفاء بوعودها من إقامة عالم على أسس شرعية دولية والعدل والسلام ؟ الحق أنه لم تقع تحولات من شأنها أن تقضى صراحة على الآمال التى عقدت بقيام ذلك العالم الجديد ، بل لعل الجهود المبذولة لإنجاح مؤتمر السلام برهان على أن مراكز القوى فى عالمنا مازالت ملتزمة بالسير فى الطريق الصحيح .

ولكنْ ثمة نُذُر تتطاير هنا وهناك تدل ـ على الأقل ـ على أن ولادة العالم الجديد ستكون عسيرة وتتطلب المزيد من الإخلاص والتضحيات .

فنتيجة للأزمة الاقتصادية التى تعانى منها الولايات المتحدة نشطت دعوة بين الأمريكيين تدعو إلى الاهتمام بأمريكا قبل كل شىء ، ولو على حساب التوسع فى السياسة الخارجية ، ولا يُستبعد أن تكون تلك النقطة هى أهم ما ستدور حوله المعركة الانتخابية للرياسة . وواضح أن نجاح تلك الدعوة قد يصيب الوليد الجديد بتشوهات تعود بالعالم إلى عصور المعاناة والمنافسة والحروب الباردة والساخنة .

وامتدت الأزمة إلى المجموعة الأوربية ، وهبَّت عاصفة من العداوة للأجانب ، على حين احتلت اليابان بؤرة العداء ، فأصبحت تمثل العدو الشرير . هناك أيضاً العواقب الوخيمة التى قد تنشأ نتيجة اختفاء

الاتحاد السوفيتى وتكون الكومنولث الجديد ، وما صاحب ذلك من مجاعة تهدد شعوب الكومنولث، بالإضافة إلى الخلافات التى تفرق بين دوله ، وقد تمخَّضَ ذلك كله عن وجود أسلحة خطيرة وخبراء خطرين لا حاجة للكومنولث إليهم ، ويخشى أن تتسرب الأسلحة والخبراء إلى كثير من دول الأرض فتكون منطلقاً إلى تطلعات عدوانية جديدة قد تعرض العالم إلى أخطار لم يتعرض لمثلها من قبل ، حتى إذا وضعنا فى الحسبان الحرب العظمى الثانية ، ويمكن أن نضع بين تلك النذر موقف الغرب من ليبيا ، الذى نرجو أن ينتهى إلى حل يُجَنِّبنَا خيبة الأمل ويحقق العدل .

كل ذلك يعنى أنه كى يولد العالم الجديد ـ كما نود ـ فلابد من بذل جهود مضنية وتضحيات جسيمة . لابد أن ترتفع دول العالم وشعوبه إلى ذروة تسمو على الأنانية والمنافع العاجلة ، وأن ننظر إلى هذه الفترة من تاريخ الإنسانية برؤية إنسانية شاملة .

(١٨ يونيو ١٩٩٢)

ثورة يوليو والعصر الذهبى

نعود إلى ثورة يوليو من جديد . الحق أنه ما من خير أو شر يعرض لنا إلاَّ ويذكرنا بها ، وقد كان لها عصر ذهبى لا يغيب عن ذاكرة مَنْ عاصره، عصر حفل بجلائل الإنجازات ، وما حقق من أحلام ، بل وما خلق من أحلام جديدة تجاوزت الأمانى الوطنية إلى خلق قومية جديدة ، هى القومية العربية ، والمشاركة فى تحرير كل وطن مُستعبد .

وجاء الخامس من يونية ليصفى العصر الذهبى ، فتهاوت الإنجازات ، وتبخرت الأحلام ، والتقينا ، فلم نجد حولنا إلا أطلالاً هى البقايا لهياكل شُغِلْنَا عن خدماتها وصيانتها وتنميتها بسبب سلسلة من الحروب دمرت الاقتصاد ، وأزهقت الأرواح وأدمت الكرامة .

كيف تبدو اليوم تلك الملحمة الحزينة ؟

من بادىء الأمر سارت الثورة فى طريقين متناقضين ، طريق الإصلاح الاجتماعى مُتبينة آمال الشعب وهواتف ضميره ، وطريق الاستبداد ، وكأنها استمرار للحكم الملكى المطلق ، بل تجاوزته صرامة وشمولاً ، إضافة إلى جرائم جهازها الإرهابى الذى فاق ما فعله المماليك والعثمانيون بنا . ووضح أيضًا أن طموحاتها السياسية كانت أكبر بكثير من قوتها وإمكانياتها ، لذلك ـ وبرغم أنها ودت أن تجعل منا يابان الشرق الأوسط ـ فقد انتكس عصرها الذهبى وتركنا تلاًّ من الخرائب والأحزان .

ولم يكن أمام من يخلف الزعيم الراحل إلاَّ أن ينقذ ما يمكن إنقاذه ، وأن يقيم من البناء المتهالك حجرًا أو جدارًا .

وكان من عمل «السادات» أن رد إلينا الروح فى أكتوبر ، واسترد الأرض ، وحقق السلام ، وفتح باب الديمقراطية ، وخطا خطوات فى سبيل تحرير الاقتصاد ، وقد صاحب ذلك للأسف خلل فى الانفتاح ، وتَسَيُّبٌ فى الأخلاق . وجاء حسنى مبارك ليضع خطة جذرية فى إعادة البناء والتنمية الشاملة ، وفى عهده تتحقق إنجازات ضخمة إضافة إلى رسوخ الديمقراطية وحرية الصحافة والإصلاح الاقتصادى ، وإذا كانت ملايين من أبناء الشعب لم تتخفف بعد من معاناتها ، فلا يرجع ذلك إلى قلة الإنجازات ، ولكن إلى شدة الخراب الأول .

وعلى أى حال فإن اليوم ذكرى هامة فى تاريخنا ، وفرصة نجدد الدعاء بأن يتغلب وطننا على كافة متناقضاته ، وأن يحظى بالمكانة اللائقة به تحت مظلة الحرية والتقدم .

(٢٣ يونيو ١٩٩٢)

أحلام اليقظة

لا بأس أن نحلم قليلاً لكيلا ننسى فى غمار ما هو كائن ما ينبغى أن يكون ، وكيلا ننسى أيضًا حقوق الشعب المؤجلة لظروف قهرية . والحلم ترويح عن النفس ، ولكنه لا يخلو من مغزى ، فليس من قبيل التهويمات فقط أن أتصور أن جميع القوانين الاستثنائية قد أُلغيت ، وأننا أعدنا النظر فى دستورنا ليتمخض عن دستور جديد يكون مرآة لديمقراطية غير مشوبة ، ولواقع حى متغير ، ومتمشياً أكثر مع ما يحدث فى العالم .

وأن الاستثمارات المصرية والعربية والأجنبية تتكاثر بإيقاع متلاحق فوق استقرار راسخ ، واثبة بالصناعة والزراعة إلى مستويات جديدة ، وقاضية على كثير من المشكلات ، فى مقدمتها البطالة المقنعة والسافرة .

وأن مشكلة التعليم قد سُويت على أحسن حال ببناء المدارس اللازمة ، وإعداد المدرسين ، وتغيير المناهج وأسلوب الدراسة تلبية لحاجات العصر ، ولتربية الشباب خير تربية عقلية ووجدانية وثقافية وبدنية ، وتحقيق النصر الكامل على الأمية .

وأن حقوق الإنسان أصبحت حقيقة لا مجرد شعار ، تُمارس فى الشارع كما تمارس فى السجون ، وفى البيوت والمدارس والمصالح

والمستشفيات ، تحظى بها الأقليات كما تحظى بها الأغلبية والنساء والرجال ، والفكر والإبداع .

وأن يتم مشروع السد العالى بمعالجة سلبياته ، ويتم النصر لنا فى حروب التلوث والمخدرات والأمراض المستوطنة .

وأن مصر أصبحت منارة ورائدة فى مجالات البحث العلمى والثقافة وقوة الإرادة ، وصفاء العقيدة الدينية الحقيقية ،والنزاهة والاستقامة ، وبإيجاز قد صرنا وطنَ الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه .

حقًّا يا أخى إنه حُلم ، ولكن حلم اليوم هو واقع الغد .

(١٠ أكتوبر ١٩٩٢)

الثورة بين الحرب والحضارة

الحرب تكلف البشرية مالا طاقة لها به ، ودَعْنَا من لغة الأرقام حتى لا نُصاب بالذهول والإحباط ، ويستوى فى ذلك أن تكون الحرب فعلاً يُمارس ، أو أن يقتصر الأمر على الاستعداد والاحتياط فى سباق لانهاية له . يضاف إلى ذلك ما تقتضيه الحرب الفعلية أو الاستعداد لها ، من تلوث الجو والبيئة ، ونشر الخراب ، موظفة فى ذلك ملايين الأيدى العاملة والعقول المبدعة لتحقيق هدف أخير واحد ، هو إحداث الموت والخراب . ويُقدر الحاسبون ـ كما ورد فى «الأهرام» ـ أن نسبة ما ينفق فى ذلك الغرض يكفى لتطهير العالم من التلوث والفقر وكثير من الأمراض ، مما يهيىء للبشرية سعادة لاتحلم بها فى وضعها التعيس الراهن .

ومن العجيب أن يقال : إن ما تنفقه الدول الفقيرة على التسليح يفوق ما تنفقه الدول الغنية ، وهى آخذة فى الازدياد ، على حين تميل ميزانية الأغنياء إلى الانضباط . ويزول العجب إذا عُرف السبب ، وهو أن الأمم الصناعية الكبرى تتجه نحو التقارب ، على حين أن دول الفقر والتأخر تمعن فى الفرقة والتصادم ، وهكذا تجرى الأمور فى العالم الثالث بصفة عامة ، وفى دول الشرق الأوسط بصفة خاصة ، وكأن البقاء قد قُدِّرَ أن يكون من نصيب الأقوياء المتقدمين ، والضياع من نصيب الفقراء المتأخرين .

هذه معلومات على دول العالم الثالث أن تدرسها وتستوعب مغزاها ، وأن تقرأ مستقبلها على ضوء هذه النُّذُر ، وتعيد النظر فى سياستها ، وأن تسوى ما بينها من خلافات ، وأن تتجه نحو التعاون والسلام ، فهو خير وأبقى .

وبلادنا العربية فى مقدمة البلاد المُطالَبة باستيعاب هذا الدرس ، لقد أنفقت على الحرب فى نصف القرن الماضى ما كان يكفى لتطوير أوطانها جميعًا وإخراجها من ظلمات العالم الثالث إلى نور العالم المتطور ، وها هى ذى تتجه نحو إقرار السلام مع إسرائيل ، فدعنا نأمل أن تتجه بعد ذلك نحو السلام والتعاون مع بعضها البعض ، كى تُبعث من جديد فى حياة التقدم والحضارة .

(٥ نوفمبر ١٩٩٢)

مشكلاتنا مترابطة لا جدوى من محاولة إصلاح جزئى ، فهى تعيش معاً متساندة ، وتذهب معًا فى الوقت المناسب الذى تحدده عزيمتنا وقدرتنا على التصدى للتحديات ، لانستطيع أن نفصل بين الأزمة الاقتصادية والفساد ، أو بينهما وبين التطرف وسوء الإدارة ، أو بين كل تلك وبين التوعك الأخلاقى والثقافى ، فالأمل ، معقود بالتنمية الشاملة، تنمية جميع الأنشطة الروحية والمادية من خلال الخطط الخمسية المتتابعة، مع صدق العزم على العمل الصادق فى استمرارية لاتتوقف ولا تهن ، وقد آن لنا أن نضاعف من سرعة الإيقاع ، وأن نتعجل النتائج وجنى الثمار قبل أن ينفد الصبر أو يدركنا اليأس .

ولعلنا لا نملك فى هذه الآونة إلاَّ أمرين :

١ ـ أن نعمل بكل ما نستطيع من جهد على تشجيع الاستثمار الخاص، وجَنْب المستثمرين من جميع الملل والنِّحَل ، ونهيىء المناخ الطيب الذى يوفر الاستقرار ويزيل العقبات ويُيسّر الإجراءات ، وأن نصدر من أجل ذلك ما تدعو إليه الضرورة من إصلاحات سياسية وتشريعات ، وتحقيق للأمن الكامل ، وأننا لنعترف بما تم فى ذلك المجال، ولكننا نود ألاَّ نقف عند حد ، ونحن أدرى بما ينقصنا .

٢ ـ أن نحقق الأداء الكامل فى الحكومة والقطاع العام . حقًّا إن

دواعى الرحمة وإدراك الواقع ومصاعبه تدعو للتساهل فى سلوكيات كثيرة، والإغضاء عن أخطاء ما كان يمكن السكوت عليها فى زمن سابق، فلنسلم بما جرت به المقادير ، وما قضى به علينا من سلبيات ، ولكن فى مقابل ذلك يجب أن يؤدى العاملون واجبهم كاملاً غير منقوص مهما كلفهم ذلك من عناء ، ومهما كلفنا من رقابة ومتابعة وإصرار وحزم.

يجب أن نثبت أننا أهل للحياة ، وأننا جديرون بنعمتها ، وأننا قادرون على التصدى للتحديات وتحدى الشدائد ، كى نصلح عالمنا الصغير الذى يوشك أن يتهاوى بنا ، ونعيد إليه توازنه الأصيل ، فتسرى الدماء فى العروق الجافة ، وتعود إلى حياتنا بهجة الثراء الروحى والثقافى والمادى.

(١٢ نوفمبر ١٩٩٢)

أصل الحكاية

كان الزلزال فرصة يلتقى فيها قانون طبيعى أو ظاهرة كونية بقوانين إنسانية أو سلوك بشرى ، وكان فرصة للمقارنة بين الاثنين من نواحى الدقة والتطبيق والنتائج ، ولست أزعم أن نتيجة التأمل فى ظاهرة الزلزال تصدق على سائر القوانين الكونية لدى التقائها بالقوانين الإنسانية والسلوك البشرى ، فالحكم الشامل يقتضى دراسة شاملة ومقارنات شاملة ، فلنقنع بتأمل ما كان من عواقب لدى التقاء الزلزال بقوانيننا وسلوكنا .

كان الزلزال ـ كثمرة لتفاعلات فى باطن الأرض ـ ذا نتائج محددة ، آية فى الدقة والكمال ، ولا أظنه زاد درجة أو نقص درجة عن المرسوم له ، كذلك من ناحية مدته وتوابعه من الهزات المقدرة ، وقد هز ـ كما هو محتوم ـ مساكن ، ومنشآتٍ ، ومؤسسات ، وآثاراً ، فضلاً عن قلوب الأحياء وعقولها ، وهى أشياء تخضع فى وجودها لقوانين علمية ، كما تخضع فى التعامل معها إلى قيم وقوانين أخلاقية وإنسانية ، والعقول نفسها والقلوب تتربى فى رحاب تعاليم إلهية واجتماعية وإنسانية، ولا نغالى إذا قلنا : إن الزلزال لم يجد الأشياء والأحياء كما ينبغى لها أن تكون ، وجد أن الغش قد تسلل للبناء وصميم الأشياء كما تسلل للعقول والقلوب، فكانت العواقب التى امتحنا بها ، فبدا أن الزلزال يُعاقبنا على ما كان منا جميعًا . والآن دعنا نتذكر ونتأمل ما يلى :

١ ـ افرض أننا اهتممنا بكل إنذار تلقيناه عن الزلازل ، والتى يقال إنها وردت إلينا من هيئة الأمم وإنجلترا وألمانيا ، وأننا بذلنا المعقول من الجهد للحيطة والاستعداد . . .

٢ ـ ولنفرض أننا لم نتسامح مع مخالفة واحدة فى البناء . . .

٣ ـ ولنفرض أننا أخلصنا لعملنا فى البناء وتنفيذ القانون ، وقنعنا بالرزق الحلال وهو كثير . . .

٤ ـ ولنفرض أنه كانت لنا سياسة حضارية إنسانية مع المساكن القديمة المنسية . . لنفرض ذلك كله ، وهو يسير وواجب ، ولا نستحق هذا الوصف إلا مع أساسه ، لنفرض أننا فعلنا ذلك ، ألم يكن يمر الزلزال بسلام ، أو بخسارة لا تُذكر ؟

فلأى درجة يا سيدى نُعتبر ضحايا للزلزال ؟

ولأى درجة نصير ضحايا لأنفسنا ؟

(١٩ نوفمبر ١٩٩٢)

الوجه الآخــر

الزلزال كما سبق القول يبدو وكأنه عقاب ، فكشف الكثير من عيوبنا ، مثل سوء الإدارة ، وعدم احترام القانون ، والغش وخراب الذمم ، والتهاون المزرى مع المخالفين ، وضعف الرقابة والمحاسبة والمتابعة ، وجاءت العاقبة فى صورة قتلى وجرحى ، وخسائر فى الممتلكات ، وانهيار فى المساكن والمؤسسات والمدارس ، وتأثر فى الآثار، بالإضافة إلى الهلع الرهيب والحزن العميق ، والاكتئاب الذى غشينا كالضباب .

هذا معنى للحديث لا يجوز أن يغيب ، ولكنه ليس الوحيد ، فثمة وجه للخير والأمل ، ونحن كأحياء لا يصح أن نفرط فى الأمل أو نستهين بإرادة الحياة ، والكوارث ما هى إلا تجارب وألوان من الخطر ، علينا فى النهاية أن نحتويها ، وأن نجعل منها فرصًا لاستثارة الهمم وبعث مكامن القوة .

وما هى بكلمات تشجيع وأحلام يقظة ، ولا شىء وراء ذلك ، فلابد للذين ذاقوا مرارة التجربة ، وتشربوا هزات الأرض فى أفئدتهم ، وشعروا بأنفاس الموت تتردد فوق وجوههم ، لابد لهؤلاء من أن يعيدوا النظر بقوة وصلابة فى الإدارة ، وفى التعامل مع الفساد والمفسدين والمخالفين ، وأن يغيروا سياستهم مع الإهمال والتسبب والرقابة والمحاسبة .

ولكن ما العمل فى توفير المال اللازم لتعمير جميع ما خربته الحوادث ؟ التبرعات لا تكفى ، والمساعدات لا تغنى ، وغير بعيد أن تتعطل الخطة فى نواحٍ منها ، حقًّا إن ذلك قَدَرٌ مؤسف ولكنه لا يدعو لليأس ، فالمسألة فى جملتها لا تخرج عن توجيه بعض المال من أهدافه الأصلية إلى أهداف جديدة لا تقل عنه أهمية .

سنبنى مدارس جديدة ، ونرمم مدارس كثيرة ، سنُرمم الآثار ، سنعتمد سياسة جديدة فى التعامل مع المساكن القديمة الآيلة للسقوط أو التى فات عمرها المفترض .

فإننا لو لم نفعل شيئًا سوى تنظيم الإدارة وتطهيرها من الفساد وفرض سيادة القانون لكان لنا العزاء كل العزاء ، ولكان لنا نصر مبين .

(٢٦ نوفمبر ١٩٩٢)

مركز التحديات

مضى زمن طويل ونحن لا نعرف من التحديات إلا النوع البشرى منها ، أعنى ذلك النوع الذى يُعد الإنسان مسئولا عنه ، مثل الغزو ، والاستعمار ، والاستبداد ، والتأخر الحضارى . حقًّا نعلم من التاريخ أن التحديات الأولى التى صادفت الإنسان كانت طبيعية ، مثل تغيّر الأجواء والعواصف والوحوش وما شابه ذلك ، ولكن الإنسان عرف كيف يتوافق مع أغلبها من خلال تقدمه الحضارى ، فلم يعد يشغله ويستقطب اهتمامه إلاَّ التحديات التى أسميتها بالبشرية ، ولكن الحضارة الحديثة نفسها أصبحت تحذرنا من التحديات الطبيعية ، وتنبهنا إلى خطورة عواقبها ، فقد تقضى على الحضارة أو توقف تطورها ، وقد تهلك البشرية نفسها فتمسى فى خبر كان .

وإذا أردنا أن نصنف التحديات تبعًا لِمَنْشَئِهَا قلنا : منها ما هو طبيعى بحت كالزلزال، والبراكين ، والأعاصير ، والفيضانات ، وبعض الأمراض الخطيرة ، ومنها تحديات طبيعية أيضًا ، ولكنها من أصل بشرى ، أى نتيجة للحضارة نفسها ، لانهماك الانسان فى صراع الحياة انهماكًا أنساه عواقب الكثير من تصرفاته ، مثل فتحة الأوزون ، والتلوث ، والجفاف ، وما يعقب ذلك من أوبئة ومجاعات .

هذه وتلك ذات عواقب شديدة الخطورة على الإنسان ، بل على الحياة بصفة عامة ، مما يحدثونك عن نتائجها من كوارث مخيفة ، منها الهلاك الشامل للنباتات ، وقد يمتد الهلاك للأحياء جميعًا ، من نبات ، وحيوان ، وإنسان ، وقد تغرق مدن وسواحل ، وقد تختفى أجزاء لا يستهان بها من القارات .

وطبعًا نحن مطالبون ـ كسائر البشر ـ باتخاذ جميع الإجراءات لمنع الإضْرار بالبيئة وإفسادها ، ودفعها لمقابلة الشر بمثله ، بل لعلنا نتخذ الخطوات الأولى فى ذلك السبيل الذى لا مفر من السير فيه بقوة وثبات .

ولكن إلى جانب ذلك يجب أن نستعد لمواجهة أى كارثة حتى لا نؤخذ على غرة ، كما حدث لنا مع الزلزال الأخير ذى التوابع ، يجب أن يكون لنا مركز دائم للمقاومة لدراسة جميع احتمالات وقوع الكوارث ، وأن يكون لدينا تخطيط شامل ، واستعدادات احتياطية ، وقوى من الأجهزة والبشر .

إنه قدر الإنسان أن يعيش فى مواجهة التحديات ، وأن يخلق ثقافته وحضارته من خلال ذلك .

(٢ ديسمبر ١٩٩٢)

طريق الحياة

لابد من نهضة حضارية شاملة ، وإنْ طال الطريق وامتلأ بالعقبات والمصاعب ، لابد من من نهضة حضارية شاملة ، ولابد من إرادة صلبة تتناسب قوتها مع ثقل العقبات والمصاعب .

ولعله مما يشحذ الهمم ويقوى العزائم أن نجدول العقبات والمصاعب لنحسن تقدير الطاقة التى تلزمنا لتحقيق الهدف وبلوغ الغاية .

فما هى العقبات ؟ وما هى المصاعب ؟

منها ما هو ليس من صنعنا المباشر أو غير المباشر ، فهو طبيعىّ كونىّ ، مثل الزلازل ، وهذه نواجهها بالصبر والإيمان والتسلح بما يمكن أن يمدنا به العلم من أجهزة رصد وتنبؤ ، وما يمكن أن ننشئه من مراكز للاستعداد للكوارث ، وعلى كل إنسان بعد ذلك أن يحمل قَدَرَهُ ويرضى به .

ومنها كوارث طبيعية ، ولكنها من صنعنا بطريق غير مباشر ، كالتلوث ، وسلبيات السد العالى ، وهذا النوع يمكن مقاومته بالوسائل العلمية الحديثة فى نطاق التعاون الدولى ، ومنها عقبات اجتماعية وطبيعية فى آن واحد ، كالمشكلة السكانية وتفاقمها عامًا بعد عام .

وفيها جانب لا حيلة لنا فيه ، وآخر يمكن علاجه بالوعى ، ولعل أنجح وسيلة لإحراز نجاحٍ فيه هى نشر التعليم والثقافة .

بقية العقبات والصعاب هى أساسًا من صُنعنا بلا شريك ، ونحن مسئولون عنها شعبًا ودولة ، مثل النظام السياسى ، والاقتصاد ، والتعليم ، والأخلاق العامة ، والمستوى الثقافى ، والتربية الدينية الصحيحة ، والبطالة ، والمخدرات ، وسيادة القانون ، واحترام حقوق الإنسان ، وإصلاح ذلك يتطلب من الدولة حكمة وإخلاصًا ، ومرونة وصدقًا وعملاً متواصلاً ، واعتبارًا وفهمًا للعالم الجديد ، وَعِظَات التاريخ ، كما يتطلب من الشعب يقظة وانتباهً وجدية ، وتجريبَ جميعَ السبل المشروعة فى الدفاع عن حقه قبل أن يدفعه اليأس إلى التمرد أو الثورة ، والله معنا فى جميع الأحوال .

(٢٤ ديسمبر ١٩٩٢)

القوة فى خدمة المبادىء

أخيرًا قرر مجلس الأمن التدخل العسكرى فى الصومال لإنقاذ أهله من المجاعة والموت جوعًا . وقد رئيت جموعه وهى تتساقط أمام مراكز الإعانة الخالية ، والموت يخترم رجالهم ونساءهم وأطفالهم .

أناس يرون أن القرار صدر متأخرًا ، وبعد أن هلك مئات الألوف من الضحايا الأبرياء ، وهم يتمنون قرارًا مماثلا لحماية البوسنة والهرسك ، وتأديب قوى الصرب الباغية .

ولكن يوجد آخرون ينظرون إلى القرار بعين التوجس ، ويخشون أن يكون فاتحة لتسلط الدول الكبرى على الدول الصغيرة ، وعودة إلى الاستعمار تحت أقنعة جديدة وحجج مبتكرة .

والحق أقول : إن هذا القرار إنْ لم يَصْر قاعدة تتبعها هيئة الأمم ومجلس الأمن فسوف تظل الهيئة ومجلسها رمزًا خاليًا من أى مضمون حقيقى ، وتظل فكرة العالم الجديد حلمًا لا أمل فى تحقيقه .

إذا كان العالم جادًا حقًا فى الدفاع عن المبادىء البشرية التى تتنباها هيئة الأمم ، فلا مناصَ من أن يقف موقفًا حازمًا من أى مستهتر بتلك المبادىء أو خارج عليها . ولذلك تمنينا أن يكون لمجلس الأمن قوته المستقلة التى تشارك فى تكوينها جميع الأمم الموقعة على ميثاق الهيئة .

وضماناً لعدم الانحراف والتورط فى المكائد يمكن التوسع فى عدد الأعضاء الأساسيين لمجلس الأمن ، وأن يمثل فيه العالم الثالث ، وألاَّ يلجأ إلى الحل العسكرى إلاَّ إذا استفتى أعضاء الهيئة العامة ، بالإضافة إلى مجلس الأمن .

ليس من المتعثر أن نقترح الضمانات الواقية من الانحراف ، ومن الإجراءات المتعسفة التى قد تلجأ إليها الدول القوية فى خلافها مع الدول الصغيرة ، كما يمكن إضافة صلاحيات جديدة إلى محكمة العدل الدولية لتكون حكماً عادلاً بين الأمم .

وخلاصة القول : إننا نقبل أى حق إلاَّ أن تبقى هيئة الأمم ومبادئها رمزاً جميلاً بلا حول ولا قوة .

(٢٨ يناير ١٩٩٣)

عَوْدٌ إلى العالم الجديد

يجب ألاَّ نستهين بما قيل وما يقال عن العالم الجديد ، عالم ما بعد الحرب الباردة ، ومما يوحى بالثقة والطمأنينة أن الرئيس « بوش » كان أول من بَشَّرَ به ، وأن الرئيس « كلينتون » قد أيد ذلك فى تصريحات صريحة .

لا أنكر أن كثيرين لا يصدقون ما قيل وما يقال ، ويعتبرون أن العالم القائم على الحرية والسلام والعدل ما هو إلا شعار سياسى ماكر ، ولديهم من الأمثلة ما يؤيد رأيهم ، وحقًّا لا أنكر ـ على سبيل المثال ـ أن الأداء فى أزمة البوسنة والهرسك لم يقترب لنظيره فى أزمة الخليج ، فقد اتسم فى أزمة الخليج بالحزم والحسم والتنفيذ والبطش ، على حين بَدَا فى أزمة البوسنة والهرسك ضعيفًا متخاذلاً بطيئًا ، يتكلم ولا يفعل ، أو يفعل بعد حين من الدهر لا يحتمل .

هكذا كان عندما انطبقت المصالح على المبادىء دون مصالح تسندها ، فقد تداعَى الموقف وخيب الآمال . لا أنكر شيئًا من ذلك ، ولكن يجب الاعتراف بما كسبته القضية أيضًا ، من تعبئة للرأى العالمى ، وإرسال الإغاثات المتتابعة ، وفرض عقوبات الحصار ، والمقاطعة . ويجب ألاَّ نتوقع أن يولد العالم الجديد كاملا ، وحسبنا ألاَّ يحيد عن هدفه حتى يحققه على أتم ما يكون من الكمال ، ومن خلال هيئة الأمم فى يوم غير بعيد .

وقد كان الرئيس كلينتون واضحًا فى أقواله عن :

١ ـ أن يكون له دور رئيسى فى بدء السلام ودعمه .

٢ ـ أن يعيد النظر فى اتفاقات بيع السلاح السابقة حتى لا يسلح أمة عدوانية .

٣ ـ منع أسلحة الدمار الشامل بكافة أنواعها .

٤ ـ التعاون مع الديمقراطية .

٥ ـ احترام حقوق الإنسان .

أتمنى أن تصير هيئة الأمم قوة حقيقية لضمان المبادىء البشرية السامية، وردع الانحراف والمنحرفين .

(٨ أبريل ١٩٩٣)

شهادة بحسن السير والسلوك

اجتمع الرئيس الأمريكى الجديد بالأطفال فى حديقة البيت الأبيض . دار الحوار حول مشاكل الطفولة قديماً وحديثًا . . قديماً عندما كان التدخين والخمر وما يجرى مجراها هو المحظور ، وحديثًا عندما أُضيفت إليها المخدرات ومرض الإيدز . واعترف الرئيس بأن أرقامه فى السلوك كانت ضعيفة ، وهو اعتراف مفزع ، ولكن خفف من وقعه ذكره بأن سبب ذلك كان كثرة كلامه فى الفصل ، وذاك عيب أخف من غيره ، ولعله يفسر كثرة وعوده فى حملته الانتخابية .

ويسوقنا ذلك إلى موضوع علاقة الأخلاق بالسياسة ، ويذكرنا بالرأى الغالب القائل بأن الأخلاق فردية ، يطالب الفرد بالالتزام بها فى الحياة الخاصة والعامة ، أما السياسة فلا تخضع لقوانين الأخلاق ، وأن القول الفصل فيها يرجع إلى مقياس النجاح والفشل تأسيسًا على المصلحة ، والمصلحة وحدها . وعلى مدى التاريخ اشتهر الاستعمار بمذابحه وغدره بالعزل ، أو من هم فى حُكم العزل إذا قورن سلاحهم بسلاحه ، كما اتضحت قسوته فى التجارة بالعبيد ، وذاع صيت الوعود البريطانية التى لا وفاء لها ، وعرف « فريدريك بروسيا » بالنكث بالعهود ، حتى أطلقوا عليه « الوعد الجميل » ، أما بسمارك فقد جر فرنسا إلى الحرب السبعينية بكذبة متقنة . أما التاريخ المعاصر فأمثلته لم تبرح الأذهان بعد ،

والحربان العُظْمَيان أكبر شاهدين على ذلك ، إذن كان الحُكم يجرى على الفرد بِخُلُقِه ، وعلى السياسى بنجاحه .

ترى هل تغيرت تلك الرؤية أم مازالت على ما كانت عليه ؟

ما أكثر الذين يسيئون الظن ، الذين يقرءون خلف كل قول أو فعل مؤامرة أو مكيدة ، الذين لا يثقون بأى سياسة حتى لو انطبقت عليها الشرعية الدولية والمبادىء ، ولكن الحال تغير عن ذى قبل . لا شك أنه يوجد اليوم رأى عام عالمى ، كما يوجد ضمير عالمى ، وأى حاكم مهما جل قدره يسعى للاحتماء بهيئة الأمم ومجلس الأمن ، وقد تختلف القرارات بين موقف تتفق فيه المبادىء والمصالح عن موقف لا يتفقان فيه، ولكن الأمر لا يخلو من ضغط أو حصار أو إرسال الإغاثة الضرورية ، فضلاً عن ذلك فلم يعد أحد يباهى بالغدر أو القسوة أو تحدى الإرادة الدولية ، بل إن المحاكمات تهدد رؤساء الدول لانحرافهم ، وقد فقد رئيس أكبر دولة منصبه بسبب تهمة أدانت سلوكه السياسى قبل أن يلى الحكم .

دعونا نأمل أن يكون الحال قد تغير ، وأن الغد سيكون أفضل .

(٢٠ مايو ١٩٩٣)

حسن الرجاء

بداية الفترة الثالثة فى حكم الرئيس حسنى مبارك . .

نهنئه على الفوز ، ولعله لا يوجد خلاف على شخصه ، ولا على المنزلة التى يحتلها فى القلوب . . وما موقف المعارضة إلاَّ موقف سياسى يعرب عن الرغبة فى التغيير والحث على الإصلاح ، ومضاعفة الحزم فى مواجهة الواقع .

ولكننا لا ندفع بالتهنئة ولا نقف عند حدودها ، ولا ندع الفرصة تمر دون أن نعاود التعبير بما يجيش فى صدورنا من رغبات وأمانٍ وآمال .

إن الرئيس يبدأ خطاه الجديدة بعد ممارسته فترتين مليئتين بالأحداث والتجارب . . حدثت إنجازات كثيرة ولا شك ، واعترضت عثرات خطيرة ، وتراوحنا بين مواقف النبل والشجاعة ، ومواقف الكوارث الطبيعية والبشرية ، فيجب أن نكون اليوم أقرب إلى الحكمة والسداد ، وتحقيق الآمال والأمانى .

ولو أننى استرسلت فى تسجيل المطالب لملأت صفحات وصفحات ، فضلا عن أنها أصبحت محفوظة من طول ترددها ومعاناة الناس معها . . فلأكتفى بذكر أمهات المسائل التى أعتقد أنها ستعرض نفسها فى الفترة القادمة .

أولى هذه المسائل هى الديمقراطية باعتبارها المدخل لكل إصلاح .

وثانيتها المشكلة الاقتصادية التى يجب أن يقترن حلها الحقيقى بتحسين حال الفقراء وأشباه الفقراء .

وثالثتها تحديد الموقف من التيار الإسلامى وكيفية التعامل معه ، وهو أمر شديد الارتباط بالمسألة الأولى .

ورابعتها تخص موضوعًا يكاد يغيب عن البال برغم ارتباط وجودنا به . . أعنى استكمال مشروع السد العالى ، فلا يمكن أن نمضى معه فى نطاق الفعل ورد الفعل .

وحقًّا أننى لم أنس أمورًا ملحة مثل الفساد ، والبطالة ، والإرهاب . . ولكنها جميعًا أعراض ونتائج .

(٧ أكتوبر ١٩٩٣)

غداً تشرق الشمس

انعقاد أى دورة لهيئة الأمم فرصة لسماع صوت العالم ونبض ضميره ، عندما تتردد الآمال والمطالب البشرية ، وترتفع نداءات العدل من جنبات القاعة ، وتتسابق الاقتراحات البناءة عن جنوب إفريقيا والصومال والبوسنة وديون العالم الثالث وأمراض البيئة ، وغالبًا لا يجاوز الكلام الطيب القلب واللسان . أما القرارات فلا تصدر إلاّ من مجلس الأمن ، ونحن دائمًا مع التفاؤل مهما تعددت الأخطاء ، أو ران الكنسل على النوايا الطيبة ، حقًّا لا نغالى فى التفاؤل لدرجة أن نتخيل الهيئة وقد تحولت إلى برلمان عالمى له كل صلاحيات البرلمانات ، ولكننا نحلم بالبدء بخطى غير مستحيلة ، كأن تتسع عضوية مجلس الأمن لبعض رموز العالم الثالث ، وكأن يستند المجلس على جيش قوى يساعده فى تنفيذ قرارته العادلة والإنسانية ، تجنبًا لتكرار الموقف المتخاذل الذى حدث فى البوسنة .

إن حاجة العالم إلى دور الهيئة والمجلس تزداد يومًا بعد يوم ، فالعالم يتداخل ويتفاعل ويتصل ، وهو يتكشف كل يوم كذلك عن تعقيد لمشكلاته القديمة واستقبال أُخرى جديدة ، حقًّا فهذا زمان هيئته الدولية ومجلس أمنها للعمل المتواصل على الانضباط والتوازن والاستقرار.

إنى وأنا أكتب هذه الكلمات أكاد أرى بسمات السخرية على شفاه المتشائمين ، ولكننى أطالبهم بالمقارنة بين ما يحدث اليوم وما كان يحدث بالأمس بين هيئة الأمم وعصبة الأمم مثلا ، أو بين تحرير الأمم من الاستعمار وسياسات النهب والسلب والغدر .

حقًّا نحن مقبلون على عالم كثير المتاعب ، ثقيل المسئوليات ، ولكن تحت مظلة من الآمال والتفاؤل .

(٤ نوفمبر ١٩٩٣)

الواقع الجديد

إن واقعًا جديدًا يتشكل فى منطقتنا ، ويوجد بيننا أناس يلقون كل جديد بسوء الظن وتخيل المؤامرات والمكائد . . أسمعهم يتحدثون عمَّا يُراد بنا من عزلة واستغلال وهامشية . . ونحن قوم لنا تاريخ طويل فى السياسة والإدارة ، والتعامل مع الدول ، لدينا من الخبرات والكوادر ما يصلح أن يكون سندًا لنا عند أى مواجهة ، نستطيع أن نفرق بين ما ينفع وما يضر ، وأن نوازن بين مصالحنا ومصالح الآخرين . . يمكن أن نتعامل فى السياسة بدون أن نخسر ، وفى الاقتصاد بدون أن نؤكل ، وفى الثقافة بدون أن نفقد أصالتنا . لقد كنا نسعى إلى حل المشاكل وتحقيق السلام ، وها هو ذا السلام يتحقق يومًا بعد يوم ، وها هو ذا يبشر بعالم جديد من الفعل والتفاعل ، فلنتقدم بكل شجاعة وثقة فى النفس متطلعين إلى عالم أفضل .

ولكننا لا يجوز أن نتقدم بغير استعداد كامل ، بعض هذا الاستعداد يتعلق بنا ، وبعضه يتعلق بإخواننا العرب .

فيما يتعلق بنا يجب أن نكون على أتم ما يمكن أن نكون من الديمقراطية ، واحترام حقوق الإنسان ، وسيادة القانون ، والتطهر من الفساد ، مما نرجو معه أن نقضى على الإرهاب وقانون الطوارىء ، وسائر

القوانين سيئة السمعة ، أجل لا يجوز أن نتقدم قبل أن نهيىء لأرضنا العريقة استقرارًا حقيقيًّا ووجهًا حضاريًّا .

وأما ما يتعلق بإخواننا العرب فقد آن لهم أن يرتفعوا فوق الخلافات مهما كلفهم ذلك من تضحيات ، حتى تُتاح لهم فرصة المشاركة وهم قوة وإرادة .

إن واقعًا جديدًا يتشكل وهو يدعونا للخوف . . والدخول فيه يطالبنا بأن نغير ما بأنفسنا ونجددها .

(١١ نوفمبر ١٩٩٣)

نشيد العام الجديد

ماذا نقول عن العام المنقضى إذا التزمنا بتصديق ما قيل وما حدث ؟ أعنى أنى أريد ألخصه مستندًا إلى الأقوال الرسمية ، باعتبارها صادرة عن المسئولين ، المفترض فيهم الصدق ، والواجب علينا تصديقهم ، ومستندًا أيضًا إلى الواقع والمشاهَد ، باعتبارها حقائق لا يمكن إنكارها أو تجاهلها .

فنحن نؤمن بالنيات الطيبة التى تكنها الدولة نحو الديمقراطية ، ونصدق بأنها تتلهف على الوقت المناسب لتبلغ بها غاية الكمال .

ونصدق أن اقتصادنا قد تقدم ، وأن خطوات إصلاحه قد استحقت تقدير العالم ، وأن عام ٩٥ سيكون عام الحصاد والرخاء .

ولا نشك فى أن حركة ثورية تهوم فى ميدان التعليم نتمنى لها النجاح بكل قلوبنا ، ونصدق أن الحكومة قد أحكمت قبضتها على الإرهاب ، وأنه سيتم القضاء عليه بعد أن هتكت جميع أسراره .

ونصدق جميع ما قيل عن إنجازاتنا فى كل المجالات من إنتاج وخدمات ، ولكن لا مفر أيضًا من التسليم بما تنبىء عنه الوقائع .

فكثرة كبيرة من المصريين تعانى مُرَّ المعاناة من الحياة ، وما تلقاه فيها من ألوان الشدة ، مثل الغلاء ، والتلوث للماء والهواء ، وبعض ما

يؤكل ، والزحام ، والمواصلات ، وسوء المعاملة فى المستشفيات والمصالح الحكومية ، وافتقاد الأمن ، وتتابع حوادث الإرهاب ، وصدمات أنباء الفساد والبطالة ، وما يرويه ضحايا المحسوبية من ظلم منكر .

فياله من عام ! أو ياله من عصر جَمَع بين أجمل النيات والإنجازات من ناحية ، وأنكر الجرائم البشرية من جهة أخرى !

ومهما يكن من أمر فلنستقبل العام الجديد برجاء فى الخير لن يخيب بإذن الرحمٰن الرحيم .

(١٣ يناير ١٩٩٤)

البريد والوزراء

هل تقرأ بريد الأهرام ؟ . . هل تتابع رسائل القراء فى الصحف ؟ إنى أعتقد أنه باب ناجح جدًّا ، لا يكاد يتخطاه قارىء من القراء ، لصدقه وبساطته ، وعمق الرسائل التى يحملها إلى القلوب والعقول ، وأنه مرآة تعكس حياتنا فى شمولها ، وتركز بصفة خاصة على ما يلقى المواطن من مشاق وصعاب ، وإهمال وتسيب ، وقهر وقسوة ، ولا مبالاة فى أماكن عمله وراحته ، فى الطريق ، فى المدرسة ، فى المستشفى ، فى المواصلات، فى المصالح الحكومية ، فى قسم الشرطة ، مما لا يحيط به حصر ، ولا يصدقه عقل ، ولا يستسيغه ذوق ، ولا يُقْبَل بأى مقياس حضارى ، وأنه من أعجب الأمور أن تتردى المعاملة والسلوك إلى ذلك المستوى فى بلد يفاخر بمعاشرته للحضارة على مدى سبعة آلاف سنة ، وما يملك القارىء فيما يقرأ إلاَّ الحزن والأسى والأسف ، لا يكاد يتجاوزها إلى فعل طيب إلا فى القليل النادر . بل قد أخشى أن يهون الخطب بالتكرار اليومى ، وأن تصبح مآسينا أحداثًا عادية نمر بها مرورًا دون رَدٍّ فعل يذكر .

ترى هل يقرأ الوزراء المختصون ذلك الباب اليومى ؟ لم يعد لدينا اليوم ديوان للمظالم ، فلم يبق إلاّ أن يفتتح الوزراء عملهم اليومى بالاطلاع على بريد القراء خاصة ، فربما يكون مدخلاً للإصلاح فى جميع المجالات

وترسم الخُطى الأولى لتقويم كل معوج ، وتيسير كل تعقيد ، وتنفيذ القوانين بدقة تعيد للدولة هيبتها واحترامها .

ونستطيع نحن أن نقيس نجاح الوزراء ـ وزراء الخدمات خاصة ـ باختفاء الشكاوى وندرة الشاكين .

(٢٠ يناير ١٩٩٤)

العالم بين يديك

سوف تستطيع أن تدعو العالم بكل ما فيه إلى حجرة جلوسك ، ولن يكلفك ذلك أكثر من الضغط على زر فى التليفزيون ، ما كان يمكن تخيل ذلك إلاَّ فى عالم السحر والعفاريت ، ستجد العالم كله قائمًا على مرأى ومسمع منك ، سيجيئك بدون عناء الخبر ، والمنظر ، والعادات والتقاليد ، والأفكار والآراء ، وكافة ألوان الفن وأشكاله . سيمتزج العالم فى بوتقة واحدة ، لا يصده عن ذلك رقيب أو قانون أو نظام أو إجراء . ومن النتائج المحتومة لذلك الانفتاح المطلق أن نعرف الحقائق بدون تزييف أو تحريف ، وأن نطلع على وجهات النظر المختلفة للفكر الواحد، ونرى تآلف الناس واختلافاتهم وتناقضاتهم ، فيكون الإيذان ببزوغ نجم البشرية الواحدة .

ونحن إذا أهَّلْنا أنفسنا لاستقبال هذه الثورة المستقبلة فسنجنى من ورائها خيرًا مطلقًا ، أما إذا استقبلناها دون تأصيل ودون استعداد فسنجد فيها من الشر بقدر ما نجد من الخير .

فعلينا أن ننشِّىء الأبناء على حرية الفكر واستقلالية الحكم ، وإِعْمَال التفكير قبل القبول أو الرفض ، بذلك نستطيع أن نتصدى لأى جديد فى الرأى أو الفكر بدون خوف من التأثر السلبى لضعف التفكير وسحر الانبهار .

وعلينا أن نربيهم فى أحضان القيم السامية ، حتى لا تستخفَّهم الفِتَنُ الرخيصة والمسرات المبتذلة .

وعلينا فى النهاية أن نرتفع بمستوى إنتاجنا الثقافى فكرًا وفنًّا ، فإنه لن يتقرر الفوز فى العالم القادم إلاَّ للأصدق والأجمل والأبقى . . لم يعد الخوف من الحياة بالموقف المُجْدِى ، ولا محيد عن التصدى والشجاعة والثقة بالنفس .

(١٠ فبراير ١٩٩٤)

السلام الشامل

علينا إذا أردنا التفرغ للبناء والتعمير والتقدم أن نتحرك فوق أرض تنعم بالاستقرار والسلام ، فليكن عام ١٩٩٤ عام السلام الشامل ، السلام العربى الإسرائيلى ، والعربى العربى ، والمصرى المصرى .

أمَّا عن السلام العربى الإسرائيلى فإن مناخه يوحى بالتفاؤل برغم البطء حينًا ، والتعثر حينًا آخر ، فالبادى أن الطرفين يلتزمان بالهدف كنهاية لا مفر منها ولا تراجع عنها ، وهما أيضًا قد أصبحا يؤمنان بضرورة السلام وفوائده .

وأما عن السلام العربى العربى فلا يجوز أن نتصور أنه أصعب من السلام العربى الإسرائيلى . فأى رواسب قديمة يمكن أن تذوب فى مجرى الزمن ، والحدود يمكن التفاهم حولها ، وحرب الخليج يمكن أن تتجاوز إلى تفاهم تطمئن به القلوب وترتاح الضمائر ، لا أُهَوِّنُ من الأمور الخطيرة ، ولكن أى خلاف يبدو تافهًا على ضوء متطلبات المستقبل وما يجب علينا نحو أنفسنا لنلحق بقطار العصر .

وعن السلام المصرى المصرى فأقل ما نطالب به أنفسنا أن نعنى بسلامنا كما نعنى بسلام الآخرين ، وقد بذلنا ـ ومازلنا نبذل ـ الجهود المتواصلة للتوسط فى الخير وتقريب وجهات النظر ، فلا أقل من أن

نحافظ على ذلك الحماس المحمود ونحن نصلح خلافاتنا وخصوماتنا ، لنتبادل الآراء بدلاً من أن نتبادل إطلاق النار .

ليكن عام ١٩٩٤ عام السلام الشامل كى نتفرغ للجهاد الأكبر ـ أعنى البناء والتعمير والتقدم .

(٣ مارس ١٩٩٤)

من أسرار الحياة

الشكوى لا توجد بلا سبب ، فوراءها عادة علة فى الجسم أو العقل أو الروح ، أو فى علاقة الإنسان بالآخرين ، أو بالمجتمع ككل ، أو حتى بالكون نفسه ، فأسباب الشكوى لا حصر لها ، وهيهات أن يبرأ منها فرد أو جماعة أو وطن ، وإنِ اختلفت وتنوعت تبعًا للظروف والأحوال ، من التفاوت فى القيم والحضارة والعلم ، وهى ليست سجية سيئة ، خاصة إذا اتسمت بالموضوعية وحُسن التقدير ، بل لعلها أول محرك للإنسان يدفعه للبحث عن حياة أفضل ، سواء على المستوى الفردى أو الاجتماعى أو الإنسانى ، وإِنَّ ما نتصوره أحيانًا من خلو فترة من العمر من الشكوى وَهْمٌ ، كما أن ما نتصوره من وجود عوالم راقية خالية منها وَهْمٌ أيضًا ، لا توجد فترة خالية منها ، حتى الطفولة السعيدة ، نحن نهرب إلى طفولتنا من واقع غليظ قاسٍ ، ناسين ماعانيناه فى الطفولة من آلام ومخاوف ومتاعب ، كذلك نظن أحيانًا أن هذه الأمة المتقدمة أو تلك قد بلغت الكمال وخلت من أى سبب للشكوى ، ولكن لماذا يتمرد شبابها ؟ ولماذا تكثر نسبة الانتحار ؟ ولماذا توجد الانفعالات العنيفة ، بل والثورات أيضًا ؟

ونستطيع أن نجد تفسيرًا لذلك فى حقيقة أبدية ، هى أن الإنسان لا يكف عن الخيال والحلم . . إنه يعيش واقعًا ، ويتعامل فيه مع خيره

وشره ، ويحلم بما هو أفضل ويتطلع إليه ، وفيما بين الواقع والحلم تتفجر الشكوى وأسباب التمرد والثورة ، ويحقق الإنسان تقدمًا جديدًا في طريق لا نهاية لها .

فحياة الإنسان جَدَلٌ متواصل بين الرضا والسخط ، وهو جدل ينتهي عادة بالتقدم ، ولكن التقدم ليس ثمرة حتمية إنْ لم يؤيد بالإرادة الحرة والكفاح الصلب ، لذلك عرف التاريخ البقاء كما عرف الفناء ، ولِكُلٍّ نصيبٌ على قَدْر هِمَّتِه .

(٩ يونيو ١٩٩٤)

مستقبل الأمة

انظر إلى الشباب تَرَ الأمة فى مستقبلها والبعيد ، فمن وجدانه وسلوكه وفكره يتشكل وجدانها وسلوكها وفكرها . وثمة مؤسسات كثيرة تتعاون على تربية الشباب وإعداده للحياة ، مثل الأسرة ، والمدرسة ، وأجهزة الإعلام والثقافة ، ويتخصص فى هذا المجال المجلس الأعلى للشباب ، كما تُعَدُّ الدولة مسئولة من خلال سياستها العامة عن تهيئة فرص العمل له ، وتنظيم الوسائل العادلة للالتحاق بالعمل ، وتحقيق الذات .

والأسرة ، والمدرسة ، وأجهزة الإعلام والثقافة ، والمجلس الأعلى ، تقدم ـ كُلٌّ فى اختصاصها وقدرتها ـ التربية بكافة أنواعها : الدينية ، والقومية ، والثقافية ، والفنية ، كما تعده وتؤهله للحياة العملية المعاصرة، ويجب ألاَّ تُقصر فى تزويده بما يحتاج إليه لبناء شخصيته بجميع أبعادها الإنسانية والوطنية ، وتأهيله للحياة العملية المعاصرة ، وأن أى تقصير فى هذا الشأن سيعود عليه بالإحباط ، وعلى وطنه بالخسران والتأخر . ويجب أن تتساوى العناية بالبنت مع الولد ، ودور البنت فى إنشاء الحضارة لا يقل فى خطورته عن دور الولد ، بل يزيد بالنظر إلى تبعات الأمومة والحياة الأسرية .

ويجىء واجب الدولة بعد ذلك فى تهيئة فرص العمل للأجيال الجديدة ، وتنظيم توزيعها على أسس نزيهة عادلة تراعى دائماً احترام حقوق الإنسان ، وفى نجاح الدولة فى ذلك يكون الحد بين اللامبالاة والانتماء ، بين التمرد والولاء ، بين العنف والسلام .

(٢٣ يونيو ١٩٩٤)

الخوف من الحرية

ما أكثر الأصوات المتناقضة برغم صدورها جميعًا من منطلق الإخلاص والصدق ، فالذين يستبشرون بعصر « الجات » والسوق الشرق أوسطية مخلصون صادقون ، والذين يخافون ذلك العصر ويتوقعون لمجيئه الشر والخسارة مخلصون صادقون ، والذين يرحبون بالتطبيع ويدعون له مخلصون صادقون ، والذين يتنكرون له وينادون بمقاطعته مخلصون صادقون .

تُرى ما سر هذا التناقض وما تفسيره ؟

لعله الخوف من الحرية وانعدام الثقة بالنفس .

لقد عشنا دهرًا طويلا تحت سطوة الحكم الشمولى ، ولم نتحرر بعد من هيمنته كما ينبغى لنا ، والحاكم الشمولى يلغى الفكر والإرادة ، ويأسر الفرد قَسرًا فى ظل السلطة ليؤدى عنه جميع الواجبات العامة ، فلا يمكنه التصرف إلا فى خاص شئونه ، وحتى هذه يمارسها فى حدود وبِحَذَرٍ ، فلا يشعر هذا الفرد بأنه مسئول ، أو بأنه يمكن أن يكون مسئولا ، وهو عاجز عن الثقة بنفسه بعد أن وضع كل ثقته فى جهاز السلطة .

فجأة تجد هذه الطائفة من رعايا الحكم الشمولى نفسها على مشارف

عالم جديد يقوم على نقيض عالمهم الشمولى ، على الحرية والمنافسة ، والاعتماد على النفس ، لا مكان فيه لأهل الثقة ، ولكن المكان لأهل الكفاءة والإبداع والإتقان والعدل والإنتاج .

من أجل ذلك يخافون ويتشاءمون ، ويتوقعون كل سوء ، كيف يعملون بعيدًا عن الحماية والاحتكار والبيروقراطية ؟! وتتردد على ألسنتهم كلمات التحذير من الهزيمة والضياع والخسارة .

لقد أثبتنا كفاءتنا فى الماضى غير البعيد ، ويثبت المهاجرون منا كفاءتهم كل يوم فى مهاجرهم ، فلدينا من التراث والحاضر ، ما يبرر التفاؤل ، ويدعو إلى الأمل ، ويهزأ بروح التردد والهزيمة .

(١٨ أغسطس ١٩٩٤)

الحرية بين الفكر والتعبير

الحرية فى مجال الإبداع تعنى حرية الفكر من ناحية ، وحرية التعبير من ناحية أخرى ، ومن حق المبدعين أن يطالبوا بالحرية الكاملة على نشاطهم ، كما أنه من حق المحافظين أن يطالبوا بالالتزام بالدين والأخلاق ، والقضية قديمة ، وكأنها مستمرة دون حكم نهائى ، والموقف منها يختلف بين زمان وزمان ، ومكان ومكان ، ومستوى حضارى وآخر ، ولقد شهدتُ عصرًا كان مثالا طيبًا للتسامح وسعة الصدر ، كان يناقش ولا يحاكم إلا فيما ندر ، أما عصرنا الحالى فينقلب عليه التشدد ، ويشيع فيه الاتهام وسوء الظن .

ورأيى أن الفريقين على حق ، وأن الاصطدام أحيانًا لا مفر منه ، وأن التقدم نفسه لا يتحقق إلاَّ من خلال صراع .

وأنه لَمِنْ أَمانِيَّ أن يحظى الفكر بحرية مطلقة ، وأن يقتصر الخلاف فيه على المناقشة العلمية الموضوعية ، وأنَّ أى مساس بحرية الفكر يُعرض الحقيقة والتقدم للتعثر والتأخر . ومما يشجع على شرعية هذه الأمانى أن الفكر الحقيقى يدور فى أوساط الصفوة من الراشدين الذين لا يخشى عليهم من الانبهار بالباطل..

أما عن التعبير فالموقف مختلف ، فالتعبير الفنى بشىء من الفكر

يعبر عن التجربة الإنسانية بجوانبها الفكرية والعاطفية والغريزية ، ودائرة التعامل معه أوسع بكثير من المتعاملين مع الفكر ، إضافة إلى ذلك فإنه كثيراً ما يعرف سبيله إلى وسائل التعبير الجماهيرية ، فيصل تأثيره إلى الأميين أنفسهم ، من أجل ذلك يجب أن يراعى الحياء والأدب والذوق ، ولن يضير فى أن يراعى ذلك .

(١ سبتمبر ١٩٩٤)

من أقوال الصحف

منها ما ذُكر عن وجود ١٦٠ مليار جنيه فى البنوك المصرية ، وكما قدر البعض بحق ، فإن استثمار ذلك الكم الهائل من النقود يكفى لتحقيق الرخاء المنشود للوطن وأهله . لماذا تتكدس الأموال بدون استثمار ؟ يجب أن نطرح على أنفسنا هذا السؤال وأن نتأمله لنعرف العوائق والمثبطات ، لنمهد الطريق حقًّا وفعلاً للانطلاق ، وإلاَّ فإننا نرتكب حماقة لم يعرف لها التاريخ مثيلا من قبل . . نحن نملك المال والأيدى العاملة ، ولا يعوزنا العلم والخبرة ، ولا نرى بأسًا عند الضرورة من الاستعانة بالخبرة الأجنبية ، فمتى نقدم على العمل الجاد ونتوكل على الله ؟

ومنها ما يثار من حين لآخر عن حاجتنا إلى مشروع قومى ليجمع شتاتنا ، ويوحد هدفنا ، ويملأ بروح العزم أرواحنا . . نحن نستغيث بالمشروع القومى لنقضى به على السلبية واللامبالاة والكسل والفساد وسائر العيوب التى تعرقل مسيرتنا ، وطالما قلت : إن المشروع القومى موجود ، واسمه التنمية الشاملة ، ونحن ننفذه خطة بعد خطة ، ولكن معدل سرعتنا لا يرضى أحدًا ، والحق أن الذى ينقصنا ليس هو المشروع القومى ، ولكن التخلص من العيوب والنقائض ، فلنبحث لذلك عن دواء آخر لنشعر بمشروعنا القومى المطروح ، ونخدمه بما يستحق من

العناية والرعاية ، وقد نجد الدواء المطلوب فى الديمقراطية ، وتجديد الإدارة ، والمعاملة الحازمة التى تقوم على الثواب والعقاب والحزم فى مطاردة الفساد، وسيادة القانون ، واحترام حقوق الإنسان ، وتطبيق مبدأ المساواة فى الحقوق والواجبات بين المواطنين . . إذا فعلنا ذلك عاودتنا روح الحماس والعمل والجهاد ، وأقبلنا على التعامل مع مشروعنا القومى بكل قوة ، بل قد نعتبر أى عمل شريف مشروعًا قوميًّا ، وهدفًا للنصر والسمو .

(١٢ مايو ١٩٩٤)

الهـــوية

إن الحرص على الهوية ينبع من حب الذات والوطن والتاريخ وذكريات العمر والأجيال ، فلا ملامة على التعلق بالهوية ، ولكن لا يصح أن يتمادى هذا التعلق إلى حد إضفاء التقديس عليها ، ولعله ـ باستثناء الدين ـ لا يوجد ما هو مقدس فى الهوية ، فهى فى الجملة مكونة من عناصر قابلة للتطور والتغيير والتجديد ، بل الحذف والإضافة. كيفما تقتضيه حكمة الرقى والتقدم فى طريق الإنسان الطويل نحو الحياة الكاملة .

إن الدفاع عن الهوية ـ لا لسبب إلاَّ أنها هويتنا ـ باطل ، كما فى التنكر للهوية ـ لالسبب إلاَّ انبهارًا بهوية حضارة أخرى ـ باطل أيضًا . كلا الموقفين غير معقول ، ولا أصالة فيه ، ولا ينتج عنه إلا الاختلال والخطأ، وهو لا يعنى إلاَّ التمسك بما يضرّ ولا ينفع ، أو بما ضرره أكبر من نَفْعِه .

ويؤكد هذا المعنى عرض العناصر التى تتكون منها الهوية ، فهى تتكون من العادات والتقاليد والأفكار والأذواق ، والحكم على تلك العناصر ـ سواء فى ذاتها أو عند مقارنتها بأمثالها فى الحضارات الأخرى ـ يجب أن يُبنى على ما تتضمن من خير أو شر ، أو ما تُحقق من نفع أو ضرر ، أو ما يسندها من صدق أو جمال ، وبناء على ذلك المناظرة

المتواصلة ، لينتهى بنا الأمر إلى المحافظة على هويتنا ، بِرفْض كل غريب، أو إلى التأثر بالغير ، ولا ضرر إذا انتهى بنا إلى تفضيل عناصر برمتها على نظائرها عندنا ، المهم أن نعمل باستقلالية فى التفكير ، وحرية فى الاختيار ، وسيسفر التفاعل عن هوية جديدة لن تلبث أن تصير تراثًا وهوية آباء وأجداد .

علينا أن نواجه عصر القرية الكبيرة الواحدة بكل شجاعة وثقة بالنفس .

(١٧ فبراير ١٩٩٤)

أعمال الكاتب

أعماله بالعربية :

ـ الروايـــة :

١ ـ عبث الأقدار ١٩٣٩ .

٢ ـ رادوبيس ١٩٤٣ .

٣ ـ كفاح طيبة ١٩٤٤ .

٤ ـ القاهرة الجديدة ١٩٤٥ .

٥ ـ خان الخليلى ١٩٤٦ .

٦ ـ زقاق المدق ١٩٤٧ .

٧ ـ السراب ١٩٤٨ .

٨ ـ بداية ونهاية ١٩٤٩ .

٩ ـ بين القصرين ١٩٥٦ .

١٠ ـ قصر الشوق ١٩٥٧ .

١١ ـ السكرية ١٩٥٧ .

١٢ ـ أولاد حارتنا ١٩٦٠ .

١٣ ـ اللص والكلاب ١٩٦١ .
١٤ ـ السمان والخريف ١٩٦٢ .
١٥ ـ الطريق ١٩٦٤ .
١٦ ـ الشحاذ ١٩٦٥ .
١٧ ـ ثرثرة فوق النيل ١٩٦٦ .
١٨ ـ ميرامار ١٩٦٧ .
١٩ ـ المرايا ١٩٧٢ .
٢٠ ـ الحب تحت المطر ١٩٧٣ .
٢١ ـ الكرنك ١٩٧٤ .
٢٢ ـ حكايات حارتنا ١٩٧٥ .
٢٣ ـ قلب الليل ١٩٧٥ .
٢٤ ـ حضرة المحترم ١٩٧٥ .
٢٥ ـ ملحمة الحرافيش ١٩٧٧ .
٢٦ ـ عصر الحب ١٩٨٠ .
٢٧ ـ أفراح القبة ١٩٨١ .
٢٨ ـ ليالى ألف ليلة ١٩٨٢ .
٢٩ ـ الباقى من الزمن ساعة ١٩٨٢ .
٣٠ ـ رحلة ابن فطوطة ١٩٨٣ .

٣١ ـ العائش فى الحقيقة ١٩٨٥ .

٣٢ ـ يوم قتل الزعيم ١٩٨٥ .

٣٣ ـ حديث الصباح والمساء ١٩٨٧ .

٣٤ ـ قشتمر ١٩٨٨ .

القصص القصيرة :

٣٥ ـ همس الجنون ١٩٣٨ .

٣٦ ـ دنيا الله ١٩٦٣ .

٣٧ ـ بيت سيئ السمعة ١٩٦٥ .

٣٨ ـ خمارة القط الأسود ١٩٦٩ .

٣٩ ـ تحت المظلة ١٩٦٩ .

٤٠ ـ حكاية بلا بداية ولا نهاية ١٩٧١ .

٤١ ـ شهر العسل ١٩٧١ .

٤٢ ـ الجريمة ١٩٧٣ .

٤٣ ـ الحب فوق هضبة الهرم ١٩٧٩ .

٤٤ ـ الشيطان يعظ ١٩٧٩ .

٤٥ ـ رأيت فيما يرى النائم ١٩٨٢ .

٤٦ ـ التنظيم السرى ١٩٨٤ .

٤٧ ـ صباح الورد ١٩٨٧ .

٤٨ ـ الفجر الكاذب ١٩٨٩ .

٤٩ ـ القرار الأخير

الترجمات والحوارات :

٥٠ـ مصرالقديمة ١٩٣٢ .

٥١ ـ أمام العرش ١٩٨٣ .

(سيرة ذاتية) :

كتب للأطفال

٥٢ ـ أصداء السيرة الذاتية ١٩٩٥ .

٥٣ ـ عجائب الأقدار

المقالات :

٥٤ ـ حول الدين والديمقراطية .

٥٥ـ حول الشباب والحرية .

٥٦ ـ حول الثقافة والتعليم .

٥٧ ـ حول التدين والتطرف .

٥٨ ـ حول العدل والعدالة .

٥٩ ـ حول التحرر والتقدم .

٦٠ ـ حول العلم والعمل .

٦١ ـ حول العرب والعروبة .

* وتنوى الدار المصرية اللبنانية - بإذن الله - مواصلة نشر مقالاته التى كان قد بدأها عام ١٩٣٤ ونُشرت فى المجلات والصحف المختلفة داخل وخارج مصر .

المسرحيات :

سبع مسرحيات من ذات الفصل الواحد ، خمس منها فى مجموعة «تحت المظلة » وهى :

٦٢ - يميت ويُحْيى .

٦٣ - التركة .

٦٤ - النجاة .

٦٥ - مشروع للمناقشة .

٦٦ - المهمة .

ومسرحيتان فى مجموعة « الشيطان يعظ » هما :

٦٧ - الجبل .

٦٨ - الشيطان يعظ .

* أعد مصطفى بهجت مصطفى المسرحيات الثلاث الأولى وحوّلها إلى العامية ، وأخرجها أحمد عبد الحليم على مسرح الجيب عام ١٩٦٩ بعنوان « تحت المظلة » .

الروايات والقصص التى أعدت للمسرح :

١ ـ زقاق المدق : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج كمال يس ١٩٥٨ .

٢ ـ بداية ونهاية : إعداد أنور فتح الله ، إخراج عبد الرحيم الزرقانى ١٩٦٠ .

بداية ونهاية : إعداد أحمد عبد المعطى ، إخراج فتحى الحكيم ١٩٧٦ .

بداية ونهاية : إعداد أنور فتح الله ، إخراج عبد الغفار عودة ١٩٨٦ .

٣ ـ بين القصرين : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج صلاح منصور ١٩٦٠ .

٤ ـ قصر الشوق : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج كمال يس ١٩٦١ .

٥ ـ اللص والكلاب : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج حمدى غيث ١٩٦٢ .

٦ ـ الجوع : إعداد فايز حلاوة وإخراجه (قهوة التوتة) ١٩٦٢ .

٧ ـ خان الخليلى : إعداد صلاح طنطاوى ، إخراج حسين كمال ١٨٦٣ .

٨ ـ روض الفرج : إعداد صلاح طنطاوى ، إخراج حسين كمال ١٩٦٤ .

٩ـ ميرامار : إعداد نجيب سرور وإخراجه ١٩٦٩ .

١٠ ـ القاهرة ٨٠ : إعداد سمير العصفورى وإخراجه ١٩٨٩ .

١١ ـ حارة العشاق. إعداد أحمد عبد المعطى، وإخراج أحمد هانى ١٩٨٩.

السيناريوهات:

١ ـ المنتقم : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٤٧ .

٢ ـ عنتر وعبلة : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٤٨ .

٣ ـ لك يوم يا ظالم : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة إميل زولا «تريز راكان» ١٩٥١ .

٤ ـ ريا وسكينة : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٣ .

٥ـ الوحش : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٤ .

٦ـ جعلونى مجرماً : إخراج عاطف سالم ١٩٥٤ .

٧ ـ فتوات الحسينية : إخراج نيازى مصطفى ١٩٥٤ .

٨ ـ شباب امرأة : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة أمين يوسف غراب ١٩٥٥ .

٩ ـ درب المهابيل : إخراج توفيق صالح ١٩٥٥ .

١٠ ـ النمرود : إخراج عاطف سالم ١٩٥٦ .

١١ ـ الفتوة : إخراج صلاح أبوسيف ١٩٥٧ .

١٢ ـ الطريق المسدود : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة إحسان عبد القدوس ١٩٥٨ .

١٣ ـ الهاربة : إخراج حسن رمزى ١٩٥٨ .

١٤ ـ أنا حرة : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة إحسان عبد القدوس ١٩٥٩ .

١٥ ـ إحنا التلامذة : إخراج عاطف سالم ١٩٥٩ .

١٦ ـ بين السماء والأرض : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٩ .

١٧ ـ جميلة : إخراج يوسف شاهين ، عن قصة يوسف السباعى ١٩٥٩ .

١٨ ـ الناصر صلاح الدين : إخراج يوسف شاهين ، عن قصة يوسف السباعى ١٩٦٣ .

١٩ ـ ثمن الحرية : إخراج نور الدمرداش ١٩٦٥ .

٢٠ ـ الاختيار : إخراج يوسف شاهين ١٩٧١ .

٢١ ـ دلال المصرية : إخراج حسن الإمام ١٩٧١ .

٢٢ ـ ذات الوجهين : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٧٣ .

٢٤ ـ المجرم : إخراج صلاح أبو سيف (لك يوم يا ظالم) ١٩٧٨ .

٢٥ ـ وكالة البلح : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٨٣ .

الروايات والقصص التى أعدت للسينما :

١ ـ بداية ونهاية : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٦٠ .

٢ ـ زقاق المدق : إخراج حسن الإمام ١٩٦٣ .

٣ ـ اللص والكلاب : إخراج كمال الشيخ ١٩٦٣ .

٤ ـ بين القصرين : إخراج حسن الإمام ١٩٦٤ .

٥ ـ الطريق : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٦٤ .

٦ ـ خان الخليلى : إخراج عاطف سالم ١٩٦٦ .

٧ ـ القاهرة ٣٠ : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٦٦ .

٨ ـ قصر الشوق : إخراج حسن الإمام ١٩٦٧ .

٩ ـ السمان والخريف : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٦٨ .

١٠ ـ ميرامار : إخراج كمال الشيخ ١٩٦٩ .

١١ ـ السراب : إخراج أنور الشناوى ١٩٧٠ .

١٢ ـ ثرثرة فوق النيل : إخراج حسين كمال ١٩٧١ .

١٣ ـ صور ممنوعة : إخراج مدكور ثابت ، (من خمارة القط الأسود) ١٩٧٢ .

١٤ ـ السكرية : إخراج حسن الإمام ١٩٧٣ .

١٥ ـ الشحات : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٧٣ .

١٦ ـ أميرة حبى أنا : إخراج حسن الإمام ، (من المرايا) ١٩٧٤ .

١٧ ـ الكرنك : إخراج على بدرخان ١٩٧٥ .

١٨ ـ الحب تحت المطر : إخراج حسين كمال ١٩٧٥ .

١٩ ـ الشريدة : إخراج أشرف فهمى ، (من همس الجنون) ١٩٨٠ .

٢٠ ـ فتوات بولاق : إخراج يحيى العلمى ، (من حكايات حارتنا) ١٩٨١ .

المقاهى .. فى حياته :

١ ـ مقهى عرابى بالعباسية .

٢ ـ مقهى قشتمر بشارع الجيش .

٣ ـ مقهى الفيشاوى بالحسين .

٤ ـ مقهى زقاق المدق .

٥ ـ مقهى الفردوس .

٦ ـ مقهى ركسى .

٧ ـ مقهى لونابارك .

٨ ـ مقهى أحمد عبده بالحسين .

٩ ـ مقهى على بابا بالتحرير .

١٠ ـ مقهى ريش بالتحرير .

١١ ـ كازينو قصر النيل .

١٢ ـ كازينو كليوباترا .

١٣ ـ مقهى ديليسبس بالإسكندرية .

١٤ ـ كازينو بترو بسيدى بشر .

١٥ ـ كازينو ميرامار بالإسكندرية .

١٦ ـ كازينو سان استيفانو .

كتبه .. مترجمة إلى اللغات الأخرى

١ ـ همس الجنون	ق . المنصور	بيروت	١٩٦٠ .
٢ ـ الزعبلاوى	صفية ربيع	جامعة القاهرة	١٩٦٢ .
٣ ـ دنيا الله	روجر السن	دورية أمريكية	١٩٦٤ .
٤ ـ زقاق المدق	تريفور لوجاسيك	جامعة ميتشجان	١٩٦٦ .
٥ ـ الزعبلاوى	نسيم رجوان	دورية بريطانية	١٩٦٧ .
٦ ـ الزعبلاوى	دنيس جونسون	جامعة أكسفورد	١٩٦٧ .
٧ ـ قصص قصيرة	محمود المنزلاوى	جامعة الإسكندرية	١٩٦٨ .
٨ ـ دنيا الله	محمود المنزلاوى	دار المعارف (القاهرة)	١٩٦٨ .
٩ ـ دنيا الله	روجر السن	دار أمريكية	١٩٧٣ .
١٠ ـ القصص القصيرة	جوز يف أولين	جامعة بيروت	١٩٧٣ .
١١ ـ زقاق المدق	تريفور لوجاسيك	لندن	١٩٧٥ .
١٢ ـ تحت المظلة	دينيس جونسون	لندن	١٩٧٦ .
١٣ ـ المرايا	روجر السن	دار أمريكية	١٩٧٧ .
١٤ ـ خمارة القط الأسود	سعد الجبلاوى	كندا	١٩٧٧ .
١٥ ـ ميرامار	فاطمة مرسى	لندن	١٩٧٨ .

١٦ ـ اللص والكلاب	تريفور لوجاسيك	الجامعة الامريكية
١٧ ـ أفراح القبة	أوليف كينسى	الجامعة الأمريكية
١٨ ـ السمان والخريف	روجر السن	الجامعة الأمريكية
١٩ ـ بداية ونهاية	رمسيس عوض	الجامعة الأمريكية
٢٠ ـ الشحات	كريستين وكرهنرى	الجامعة الأمريكية
٢١ ـ حضرة المحترم	رشيد العنانى	لندن ونيو يورك
٢٢ ـ حضرة المحترم	رشيد العنانى	الجامعة الأمريكية
٢٣ ـ الطريق	محمد إسلام	الجامعة الأمريكية
٢٤ ـ اللص والكلاب	عادل إلياس	جدة
٢٥ ـ حكايات حارتنا	سعاد صبحى	واشنطن

كتب عربية .. عن حياته وأعماله

١ ـ قضيته الشكل الفنى	د . نبيل راغب	هيئة الكتاب (القاهرة)	١٩٦٧ .
٢ ـ المنتمى	د . غالى شكرى	دار المعارف (القاهرة)	١٩٦٧ .
٣ ـ تأملات فى عالم محفوظ	محمود أمين العالم	دار المعارف (القاهرة)	١٩٧٠ .
٤ ـ مع نجيب محفوظ	أحمد محمد عطية	دمشق	١٩٧١ .
٥ ـ الإسلامية فى أدب محفوظ	د . محمد حسن عبدالله	الكويت	١٩٧٢ .
٦ ـ الله فى رحلة محفوظ	جورج طرابيشى	بيروت	١٩٧٣ .
٧ ـ قراءة الرواية فى عالم محفوظ	د . محمود الربيعى	دار المعارف (القاهرة)	١٩٧٤ .
٨ ـ دراسة فى أدب محفوظ	د . رجاء عيد		١٩٧٤ .
٩ ـ محفوظ على الشاشة	هاشم النحاس	هيئة الكتاب (القاهرة)	١٩٧٥ .
١٠ ـ الرؤية والأداة	د . عبد المحسن طه بدر	دار المعارف (القاهرة)	١٩٧٨ .
١١ ـ العالم الروائى عند محفوظ	إبراهيم فتحى	دار الفكر المعاصر (القاهرة)	١٩٧٨ .
١٢ ـ نجيب محفوظ	د . على شلش	بيروت	١٩٧٩ .
١٣ ـ الروائيون الثلاثة	يوسف الشارونى	هيئة الكتاب (القاهرة)	١٩٨٠ .
١٤ ـ ثلاثية نجيب محفوظ	جاك جومييه	بيروت	١٩٨٠ .
١٥ ـ الرمزية فى أدب محفوظ	د . فاطمة الزهراء سعيد	بيروت	١٩٨١ .
١٦ ـ دنيا نجيب محفوظ	ساسون سوميخ	تل أبيب	١٩٨٢ .
١٧ ـ قصة الأجيال	د . ناجى نجيب	المكتبة الثقافية (القاهرة)	١٩٨٢ .
١٨ ـ أدب نجيب محفوظ	ساسون سوميخ	عكا	١٩٨٢ .
١٩ ـ بناء الرواية	د سيزا قاسم	هيئة الكتاب (القاهرة)	١٩٨٤ .
٢٠ ـ محفوظ حياته وأعماله	نبيل فرج	هيئة الكتاب (القاهرة)	١٩٨٦ .
٢١ ـ محفوظ يتذكر	جمال الغيطانى	أخبار اليوم (القاهرة)	١٩٨٧ .
٢٢ ـ الفن القصصى	يوسف نوفل	هيئة الكتاب (القاهرة)	١٩٨٨ .
٢٣ ـ عالم نجيب محفوظ	د . رشيد العنانى	الهلال (القاهرة)	١٩٨٨ .

كتب .. تضمنت فصولاً عنه

لطه حسين ـ عباس خضر ـ فؤاد دوارة ـ على الراعى ـ جلال العشرى ـ رشاد رشدى ـ يوسف الشارونى ـ غالى شكرى ـ صلاح عبد الصبور ـ لويس عوض ـ شكرى عياد ـ سيد قطب ـ أنور المعداوى ـ محمد مندور ـ فاروق منيب ـ رجاء النقاش ـ حسن البندارى ـ فتحى العشرى .

كتب أجنبية ..عن أعماله

١ ـ زقاق المدق	تريفور لوجاسيك	بيروت	١٩٦٦ .
٢ ـ عالم محفوظ	عادل إلياس	الأنجلو (القاهرة)	١٩٧٢ .
٣ ـ دنيا محفوظ	ساسون سوميخ	تل أبيب	١٩٧٢ .
٤ ـ المرايا	روجر السن	أمريكا	١٩٧٢ .
٥ ـ روايات محفوظ	ساسون سوميخ	هولندا	١٩٧٣ .
٦ ـ الرواية المصرية	هيلارى كيلبا تريك	لندن	١٩٧٤ .
٧ ـ الكرنك	سعد الجبلاوى	كندا	١٩٧٩ .
٨ ـ حكايات حارتنا	ساسون سوميخ	تل أبيب	١٩٨٠ .
٩ ـ أولاد حارتنا	فيليب ستيورات	لندن	١٩٨١ .
١٠ ـ الرواية المصرية	على جاد	لندن	١٩٨٣ .
١١ ـ أعمال محفوظ	بيليد ماتينياهو	نيوجرسى	١٩٨٣ .

دراسات أجنبية .. عن أعماله

١ ـ دنيا الله	روجر السن	دورية أمريكية	١٩٦٤ .
٢ ـ الروايات والقصص	مناحم ميسون	هولندا	١٩٧٠ .
٣ ـ الزعبلاوى	ساسون سوميخ	هولندا	١٩٧٠ .
٤ ـ أولاد حارتنا	فاتيكيوتس	بريطانيا	١٩٧١ .
٥ ـ المرايا	روجر السن	دورية أمريكية	١٩٧٢ .
٦ ـ المرايا	روجر السن	دورية أمريكية	١٩٧٣ .
٧ ـ نجيب محفوظ	منى نجيب ميخائيل	هولندا	١٩٧٤ .
٨ ـ الأدب العربى	ر. س . أوستيل	لندن	١٩٧٥ .
٩ ـ الرواية المصرية	صبرى حافظ	هولندا	١٩٧٦ .
١٠ ـ بين القصرين	حسن الشامى	أميريكا	١٩٧٦ .
١١ ـ زقاق المدق	فاطمة موسى	لندن	١٩٧٦ .
١٢ ـ النساء عند محفوظ	اكسيفير فرانسيس	هولندا	١٩٧٧ .
١٣ ـ الكرنك	تريفور لوجاسيك	واشنطن	١٩٧٧ .
١٤ ـ المجتمع الإسلامى	جابر ايبل مائير	هولندا	١٩٨٤ .
١٥ ـ أولاد حارتنا	جرير أبو حيدر	هولندا	١٩٨٥ .

رسائل جامعية .. عنه

١ ـ ماجستير	أولاد حارتنا	فيليب ستيورات	أكسفورد	١٩٦٣.
٢ ـ دكتوراه	الأعمال الأدبية	بيليد ماتينياهو	كاليفورنيا	١٩٧١.
٣ ـ دكتوراه	الروايات	اكسفيرفرانسيس	كولومبيا	١٩٧٢.
٤ ـ دكتوراه	أدبه	منى نجيب ميخائيل	متشجان	١٩٧٢.
٥ ـ دكتوراه	الرواية المصرية	علي جاد	أكسفورد	١٩٧٤.
٦ ـ دكتوراه	الأدب العربي	ر . س . أوستيل	لندن	١٩٧٥.
٧ ـ دكتوراه	اللص والكلاب	عادل إلياس	أوكلاهوما	١٩٧٩.
٨ ـ دكتوراه	التجديد والتقليد	عبد الوهاب الحاكمي	آلستر	١٩٧٩.
٩ ـ دكتوراه	أهل القاهرة	سمير مصطفى	ألينويز	١٩٨٠.
١٠ ـ دكتوراه	الواقعية	عدنان الوزان	أدنبرة	١٩٨١.
١١ ـ دكتوراه	الموت	أحمد الروبى	متشجان	١٩٨٢.
١٢ ـ دكتوراه	أدبـه	محمد محمود	أكسفورد	١٩٨٢.
١٣ ـ ماجستير	السلطة	ريتشارد كينيث	أريزونا	١٩٨٤.
١٤ ـ دكتوراه	الروايات التاريخية	حسين يوسف حسين	أدنبرة	١٩٨٤.
١٥ ـ دكتوراه	دراسة مقارنة	أ . البنام	آلستر	١٩٨٤.
١٦ ـ دكتوراه	حضرة المحترم	رشيد الغسانى	آلستر	١٩٨٤.
١٧ ـ دكتوراه	العبثية	منى شفيق فايد	ألينويز	١٩٨٤.
١٨ ـ دكتوراه	بين القصرين	سعاد فطيم	آلستر	١٩٨٧.
١٩ ـ ماجستير	زقاق المدق	سميحة صليب	كونيتيكيت	١٩٨٨.

محتويات الكتاب